السياق الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم

إعداد:

نورة بنت عوض بن عبد الله الشهري

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية

جامعة الملك خالد- المملكة العربية السعودية

• **الملخص:**

يتناول هذا البحث السياق الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم، فبيَّن تعريفه وأهميته، ومركزية السمع في القرآن الكريم، كما بيَّن الاستعمال الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم، وتوضيح المفردات الدلالية وعلاقتها بالسمع، معتمدًا في ذلك على المنهج الوصفي الاستقرائي في جمع الآيات وتحليلها، وتوضيح أهم الدلالات التي يتضمنها السمع في القرآن الكريم، وجاء البحث في أربعة مباحث، يسبقها مقدمة وتمهيد، فالمبحث الأول: تناول أهمية السمع ومركزيته في القرآن الكريم، والمبحث الثاني: تناول السياق الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم، والمبحث الثالث: تناول الاستعمال الدلالي لألفاظ السمع في الاستعمال القرآني، والمبحث الرابع: اقتران السمع بغيره.

*****

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، والصلاة والسلام على رسول الله النبي الأمي الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

القرآن الكريم كلام الله -عز وجل- الذي لا ريب فيه، وهو المعجزة اللغوية الخالدة، ودراسة ألفاظه تعد مادة خصبةً لكثير من الدارسين في المجالات المختلفة، وقد أولى العلماء القدامى أهميةً كبيرةً لدراسة أحوال الإنسان ووظائفه وقدموا لها العديد من الدراسات، من أمثال ابن جني، والأصمعي، وابن السكيت، والثعالبي وغيرهم، ومن بين تلك الدراسات التي عني بها العلماء هي دراسة الحواس؛ إذ إنها تمثل جزءًا من الإنسان، وتقوم بمجموعة من الوظائف المهمة التي يعتمد عليها الإنسان في حياته، وترتبط بمحيطه الخارجي، وترتبط هذه الحواس بالعقل وبالقلب؛ لكي تستطيع أن تقوم بعملها من حيث التفكر والتدبر والتأمل على أكمل وجه، ومن تلك الحواس (حاسة السمع أو السماع) عند العرب، ويعد ابن جني ممن أولى هذه الحاسة اهتماما وعناية كبيرة، فقد اعتمد ابن جني على الكلام المسموع(السماع)، واتخذ المنهج الوصفي لذلك فهو لا يعتمد على الكلام المكتوب بل بالمسموع؛ لأنه يرى أن الكلام المسموع أو المنطوق أسبق[1]. يقول ابن جني: «فإن كان الرجل الذي سمعت منه تلك اللغة المخالفة للغات الجماعة مضعوفًا في قوله، مألوفًا في لحنه وفساد كلامه، حكم عليه ولم يسمع ذلك منه، هذا هو الوجه، وعليه ينبغي أن يكون العمل»[2]، ومنه قوله: « إذا تعارضا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تقسه في غيره»[3]، كما يرى ابن جني أن اللغة إنما نشأت من محاكاة الإنسان للأصوات

(١) ينظر: الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة، عبد الفتاح المصري، دمشق: مجلة التراث العربي، العددان (١٥-١٦) السنة الرابعة، ١٩٨٤م.

(٢) الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١/ ٣٩٠.

(٣) نفسه، ١/ ١١٩.

الطبيعية التي حوله، يقول : «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء... ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل»[1]. وقد اعتمدت الباحثة في هذا البحث على حاسة السمع، مبينة تعريف السمع وأهميته ومكانته في القرآن الكريم، وموضحة السياقات والدلالات المختلفة التي جاء بها لفظ السمع في القرآن الكريم.

- **أهمية الموضوع:**

١- تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتعلق بالقرآن الكريم الذي يعد موردًا خصبًا لكثير من الدراسات اللغوية والمعرفية.

٢- يعد السمع من أهم الحواس التي يتمتع بها الإنسان، والتي ركز القرآن الكريم على أهميتها في التفكر والفهم والتدبر والتأمل في آيات القرآن الكريم بصفة خاصة، وفي جميع الموجودات والمخلوقات بصفة عامة.

٣- أثبت العلم أهمية السمع في عملية الإدراك المعرفي، وتحصيل العلوم والمعارف المختلفة.

٤- كثرة ورود لفظ السمع في القرآن الكريم، وتعدد دلالاته.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

١- لما تحظى به حاسة السمع من وظائف معرفية وإدراكية لكتاب الله، ولما تقدمه من وظائف لخدمة الإنسان وتعميق فهمه للموجودات.

٢- لكثرة ورود جذر (س م ع) واشتقاقاته في القرآن الكريم، إذ ورد في مئة وخمسة وثمانين موضعًا، وارتبط به أحد عشر لفظًا بعلاقة دلالية.

(١) نفسه، ١/ ٤٧-٤٨.

٣- تنوع الدلالات التي يتضمنها جذر (س م ع) في القرآن الكريم.

٤- ارتبط السمع بعدد من الحواس وبغيرها، وتنوعت الآيات الكريمة في ذلك.

- **أهداف البحث:**

١- بيان مواضع جذر (س م ع) في القرآن الكريم، وذكر اشتقاقاتها.

٢- ذكر أهمية السمع وبيان وظائفه المعرفية.

٣- توضيح السياقات الدلالية التي وردت فيها مادة (س م ع) في القرآن الكريم.

٤- توضيح الاستعمال الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم.

٥- بيان المواضع التي اقترن فيها السمع بالحواس وبغيرها.

- **تساؤلات البحث:**

١- ما أبرز السياقات التي ورد فيها جذر (س م ع) واشتقاقاته في القرآن الكريم؟

٢- فيمَ تكمن أهمية السمع؟ وما وظائفه المعرفية؟

٣- ما أبرز السياقات التي وردت فيها مادة (س م ع) في القرآن الكريم؟

٤- ما أبرز الاستعمالات الدلالية التي يتضمنها السمع في القرآن الكريم؟

٥- ما المواضع التي اقترن فيها السمع بغيره؟

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي الإحصائي في جمع الآيات وتحليلها، وتوضيح أهم الدلالات التي يتضمنها السمع في القرآن الكريم.

حدود البحث:

يتناول البحث جذر (س م ع) في القرآن الكريم، وتوضيح اشتقاقاته وسياقاته، والمجال الدلالي لألفاظ السمع في الاستعمال القرآني.

مصطلحات الدراسة:

(أَذِن- تلقَّى- جسَّ- حسَّ- سَمِعَ- صَغى- نصتَ- وَجسَ- صخَّ- صمم- وقر).

الدراسات السابقة:

- الأسمر. سهام محمد أحمد، ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم- دراسة إحصائية دلالية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس بفلسطين، عام ٢٠٠٧م.

جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول، تحدثت الباحثة في الفصل الأول عن ألفاظ العقل والجوارح، وألفاظ الوعي والإدراك، وفي الفصل الثاني قسمت البحث إلى مجموعات دلالية، وتم فيها مناقشة الدلالات اللغوية وتأصيلها في المعاجم العربية، أما الفصل الثالث فهو عبارة عن جدولة إحصائية في فهرسين: الأول: ألفاظ العقل والجوارح، والثاني: عدد مرات ورود اللفظة ومشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم. وتجتمع هذه الدراسة مع بحثي في مفهوم السمع ودلالاته في القرآن الكريم، وتختلف عنه في أنها تناولت ألفاظ العقل والجوارح، مثل جارحة: العين، والسمع، والفم واللسان، واليد والقدم، وتوضيح أبنيتها وشواهدها في القرآن الكريم، أمَّا بحثي فقد اقتصر على السمع، وذكر أهميته، ودلالاته، واشتقاقاته، ومعانيه في القرآن الكريم.

- الحلفي. شكيب غازي بصري، ألفاظ السمع في القرآن الكريم- دراسة لغوية، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م.

جاء هذا البحث في أربعة فصول، الفصل الأول تحدث عن المستوى الصوتي لألفاظ السمع في القرآن الكريم، والفصل الثاني تحدث عن المستوى الصرفي لألفاظ السمع في القرآن الكريم، والفصل الثالث تناول بناء دلالة السمع في تركيب الجملة القرآنية، والفصل الرابع تناول المستوى الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم. ويجتمع مع بحثي في تحديد مفهوم السمع وأهميته، والمجال الدلالي لألفاظ السمع

في الاستعمال القرآني، ويختلف مع بحثي في أن تلك الدراسة تقوم على أساس تتبع المجالات السياقية التي يوظف فيها ذلك اللفظ؛ مما يعني أنه يكون خاضعًا لتأثيرات الأبنية السياقية بالمستويات المختلفة (الصوتي- والصرفي- والتركيبي- والدلالي)، أما بحثي فهو يتناول اللفظة من الجانب الدلالي فقط، من خلال التعرف إلى أصل اللفظة، وتتبع معناها الحقيقي والمجازي من خلال الرجوع إلى المعاجم وكتب التفسير واللغة، ومعرفة السياقات التي جاءت بها تلك اللفظة في القرآن الكريم، وارتباطها بغيرها من الألفاظ، وتوضيع العلاقة القائمة بينها.

- سكران. حفيظة، أفعال السمع في القرآن الكريم- دراسة إحصائية دلالية، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران بالجزائر، ٢٠١٩م، (بحث محكم).

تحدثت هذه الأطروحة عن السمع في القرآن الكريم، وصيغ السمع ومشتقاته، وعلاقاته الدلالية، والمعاني التي جاء بها السمع في القرآن الكريم، واقتران السمع بغيره من الحواس والجوارح. ويجتمع مع بحثي في مفهوم السمع في القرآن الكريم، وذكر سياقاته واستعمالاته، والمعاني الدلالية التي ترتبط بالسمع، غير أنه يختلف عن بحثي في أنه اعتمد على فعل السمع واشتقاقاته، وذكر بعض الألفاظ الدالة على السمع مثل: (صغى- أنصت-أذن) فقط، أمَّا بحثي فقد تناول السمع، وأهميته وأساليبه في القرآن الكريم، وصيغه واشتقاقاته المختلفة، والألفاظ الدالة عليه، والتي بلغت أحد عشر لفظًا، وهي: (أَذِن - تلقَّى- جسَّ -حسَّ- سَمِعَ -صَغى- نصتَ- وَجسَ- صخَّ- صمم- وقر).

خطة البحث:

جاء في ثلاثة مباحث، يسبقها مقدمة وتمهيد، ويليها خاتمة.

- **المقدمة**: اشتملت على موضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

- **التمهيد**: اشتمل على تعريف السمع، ومعنى السمع في القرآن الكريم.
- **المبحث الأول**: أهمية السمع، ومكانته في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أهمية السمع.

المطلب الثاني: مكانة السمع ومنزلته في القرآن الكريم.

- **المبحث الثاني**: السياق الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم:

المطلب الأول: سياق المدح والذم.

المطلب الثاني: سياق الأمر والنهي.

المطلب الثالث: سياق التوكيد والقصر.

- **المبحث الثالث**: الاستعمال الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم:
- (أَذِن- تلقَّى- جسَّ- حسَّ- سَمِعَ- صَغى- نصتَ- وَجسَ- صخَّ- صمم- وقر).
- **المبحث الرابع**: اقتران السمع بغيره.

التمهيد:

لقد منَّ الله على الإنسان بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن بين هذه النعم نعمة الحواس التي يستطيع من خلالها التفكر والتدبر والتأمل في مخلوقات الله، ومن هذه الحواس (حاسة السمع) التي عدها الله تعالى من مناط التكليف، وبها ينال الإنسان غاية السعادة من سماع كلام الله، وكلام رسوله الكريم، وسماع الأخبار والعظات القديمة منها والجديدة، وبها يحصل مجموعة من العلوم النافعة، ويدرك بها الحاضر والغائب، ويدرك بها كل الموجودات.

وقبل أن تبدأ الباحثة في توضيح أهمية السمع، وتبيان أساليبه ودلالاته في القرآن الكريم، كان لزامًا عليها توضيح التعريف اللغوي والاصطلاحي للفظ (السمع) في المعاجم العربية، وعند أهل الاختصاص، وتبيان معناه في القرآن الكريم.

مفهوم السمع:

في اللغة:

السين والميم والعين أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن، من الناس وكل ذي أذن[1]، والسمع حس الأذن، ويجمع على أسماع وأسمع[2]، ويطلق السمع على الواحد والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة ٧)؛ لأنه في الأصل

(١) ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٣/ ١٠٢.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٦هـ، ١/ ٧٣١.

مصدر قولك: سمعت الشيء سَمعًا وسماعًا[1]. يقال: «سمعته وسمعت به، واستمعوه وتسامعوا به، واستمع إلى حديثه، وألقى إليه سمعه، وملأ مسمعيه ومسامعه وسامعته، وسمّع به: نوّه به، وفعل كذا رياء وسمعة، وإنما يفعل هذا تسمعة وترئية، وذهب سمعه في الناس: صيته»[2].

والاستماع: الإصغاء[3]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف ٢٠٤)، ويقال: «استمعتُ كذا، أي أصغيتُ، وتَسَمَّعتُ إليه»[4]، ومنه التسمع: الإصغاء خفية، وهو مصدر تسمّع، أي: أصغى إليه خفية[5].

في الاصطلاح:

السمع هو: «قوة في الكائن الحي تدرك بها الأصوات بواسطة الأذن»[6]، وقيل: «قوة في الأذن به تدرك الأصوات»[7]، وقيل أيضًا: هو قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ، تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ[8].

(١) ينظر: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، مادة (س م ع)، ٣/ ٢٣١-٢٣٢.

(٢) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١/ ٤٧٤.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تح: محمد خليل عيتاني، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م، ط١، مادة (س م ع)، ص٣٥٤.

(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (س م ع)، ٣/ ١٢٣٢.

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ٢/ ١١٠٨.

(٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ٢/ ٢٢. التعريفات، علي الشريف الجرجاني، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ١٦١.

(٧) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٩٩٨م، ص ٤٢٥.

(٨) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ١/ ١٢.

معنى السمع في القرآن الكريم:

ذكر السمع في القرآن الكريم ومشتقاته وتصاريفه في مئة وخمس وثمانين مرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ (الحجر ١٨)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ (آل عمران ١٩٣)، وحيثما وردت ألفاظ السمع في القرآن الكريم قصد منها سماع الكلام والأصوات، وإدراك ما تنقله من معلومات[١].

وللسمع معانٍ وتعبيرات مختلفة في القرآن الكريم، فتارة يعبر بالسمع عن الأذن نفسها، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان ٢)، وتارة يعبر عن فعله كالسماع نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ (الشعراء ٢١٢)، وأحيانًا أخرى يطلق السمع على الفهم، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنفال ٢٣)، يقول ابن جرير الطبري: «حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، قال: لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم، ما انتفعوا بذلك، ولتولوا وهم معرضون. وحدثني به مرة أخرى فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾، بعد أن يعلم أن لا خير فيهم، ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به»[٢]، أي: لو علم فيهم خيرًا لأفهمهم ما يسمعون، تعني: أنهم لم يفهموا، فالمشركون لم يفهموا ما أنزله الله على نبينا -عليه الصلاة والسلام- وبالتالي أعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة ٩٣)، أي: فهمنا قولك، ولم

(١) ينظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد، صادق الهلالي، مجلة الإعجاز، العدد التاسع، صفر، ١٤٢٢ هـ، ص٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ١٣/ ٤٦٢.

نأتمر لك[1]، وكل موضع أثبت الله السمع فيه للمؤمنين أو نفاه عن الكافرين أو حث على تحريه- فالقصد به إلى تصور المعنى والتفكر فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ قَالُوْا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ﴾ (الأنفال ٢١)، أي: ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة الله والرسول كالمشركين والمنافقين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا سمعنا بآذاننا، وهم في الحقيقة لا يتدبرون ما سمعوا، ولهذا السبب وصفهم الله تعالى بأنهم صم بكم، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللّٰهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِيْنَ لَا يَعْقِلُوْنَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ اللّٰهُ فِيْهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُمْ مُّعْرِضُوْنَ﴾ (الأنفال ٢٢-٢٣)[2].

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص٢٤٩، وينظر: السمع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، المجلة العالمية لبحوث القرآن، المجلد ٢، العدد٢، ٢٠١٢، ص١٣.

المبحث الأول:

أهمية السمع، ومكانته في القرآن الكريم

منح القرآن الكريم حاسةَ السمعِ مكانةً عظيمةً؛ لما يكمن في تلك الحاسة من الأثر البالغ في الفهم والتفكر والإدراك، ولما لها من أهمية بالغة في التعلم واكتساب المعرفة أيضًا، لذلك نجد أن لفظ السمع متكرر في كثير من الآيات القرآنية بعدة صيغ ومعانٍ، وسأبين في هذا المبحث أهمية السمع، ومنزلته من الحواس في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أهمية السمع:

تُعدُّ حاسةُ السمع من أكثر الحواس ارتباطًا بمحيطها الخارجي؛ ولذا نجد الإنسان بفطرته يهتم بسمعه؛ لشعوره بوظيفته الحساسة في تلقي المعرفة[1]، إذ كانت الأذن وما تمثله من حاسة السمع «الوسيلة الوحيدة لتبادل المعلومات، وتناقلها من جيل إلى جيل... وهذا هو المهم في تأثير الأذن»[2]، فالإنسان الفاقد لحاسة السمع يكون شبهَ منعزلٍ عن الأخبار المتناقلة، والأحداث التي تدور حوله في أغلب الأحيان، ففقدان السمع لديه أدى إلى ضعف تواصله مع العالم الخارجي، وعن كل ما يحيط به في عالم الموجودات، وهذا ما يؤكد أهمية هذه الحاسة للإنسان، خصوصًا في اتصاله وترابطه بمجتمعه، وبمن هم حوله، واستدلَّ المفسرون على أهمية هذه الحاسة بأن الأنبياء لم يكن بينهم نبي أصم، في حين أن يعقوب -عليه السلام- فقد بصره في مرحلة من مراحل حياته، ثم رد الله عليه بصره بعد ذلك[3]، والذي أخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ جَآءَ الْبَشِيْرُ أَلْقَاهُ عَلٰى وَجْهِهٖ فَارْتَدَّ بَصِيْرًا﴾ (يوسف: ٩٦).

(١) ينظر: ألفاظ السمع في القرآن الكريم- دراسة لغوية، شكيب غازي بصري الحلفي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م. ص٩.

(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، تح: محمود الحيدر آبادي، بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٩٧٥م، ٢/ ١٨٢.

(٣) ينظر: ألفاظ السمع في القرآن الكريم، شكيب غازي، ص٩.

وقد ذهب الفخر الرازي (٦٠٦هـ) إلى أن: «السّمع لو زال لزال النطق»[١]؛ لأن السّمع «شرط النبوة بخلاف البصر، ولذلك لم يبعث الله رسولًا أصم... ولأن بالسمع تصل نتائج عقول البعض إلى البعض»[٢]، ولهذا وصف النص القرآني تلك الأصنام التي يعبدها أهلُ الجهالة من دون الله -عز وجل- بأنها لا تسمع ولا تبصر، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (مريم ٤٢)، فهذه الأصنام هي من صنع البشر، فكيف تكون قادرةً على سماع حاجاتهم وإبصارها وتلبيتها؟! وبتعبير آخر: إن العبادة يجب أن تكون للسميع البصير، الذي يدرك عباده وحاجاتهم، وتكون لديه القدرة على حل المشكلات، وهذه الأصنام فاقدة لكل ذلك[٣].

وقد ربط بعض ممن تمرس في دلالة الحواس في الاستعمال القرآني السّمعَ بالرسالة على معنى التلازم؛ لأن «السّمع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل... وإن فاقد السمع لا يمكن تبليغه بسهولة، فالأصم أنأى عن الفهم»[٤]، وأبعد عن الإدراك والاستيعاب، فضلًا عن أن حاسة السمع من الحواس التي تؤدي وظيفتها حتى في النوم على عكس حاسة البصر؛ لذا ضرب الله على أسماع أهل الكهف سنين عددًا[٥]، قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف:١١)، بل إن حساسية السمع تتضح ضرورتها إذا ما أدركنا أنها المنفذ الأوحد لتأثير القرآن الكريم في نفوس السامعين، فقد كان اللفظ القرآني ببنائه الصوتي وإعجازه في التأليف يقرع مسامعهم، فيسحرهم بنظمه، ويملك عقولهم قبل قلوبهم؛ لذا أصروا على الهرب منه على ملأ من القوم، والتلصص لسماعه ليلًا، بعد أن أرهفت آذانهم وصقلتها الممارسات اللغوية

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط١، ١٩٩٩م، ص١٣٧.

(٢) التعبير القرآني، فاضل السامرائي، بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨٨م، ص٥٣.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الفقيه ناصر مكارم الشيرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م، ٩/ ٣٢٧.

(٤) التعبير القرآني، السامرائي، ص ٥٣.

(٥) ينظر: ألفاظ السمع في القرآن الكريم- دراسة لغوية، شكيب الحلفي، ص٩.

لقراءته، فآمنوا من إحساسه؛ لذا أكد الخطاب القرآني مركزية السمع في حياتهم[1] بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَسْمَعُوْا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُوْنَ﴾ (فصلت: ٢٦).

وقد ذهب الفخر الرازي (٦٠٦هـ) إلى أن الوحي كان إيحاؤه سمعيًّا، فكانت تعاليمه لا سبيل لفهمها غير السمع والإسماع، ويبقى القرآن «في حد ذاته معجزة، وحينما قرع أسماع العرب للوهلة الأولى أذهلهم، وحين يسمعه المؤمن يخشع ويبكي، وكذلك الدخول في الإسلام، وما يتعلق بالشهادتين هو نطق وسماع، ودعوات الأنبياء كانت تقوم على الاستماع لأقوالهم وحججهم»[2]، فلا غرابة أن يقول ابن خلدون (٥٠٥هـ): إن «السمع أبو الملكات اللسانية»[3] «فالمستقبل للسمع لا للعين، والثقافة عن طريق العين ستفتقد كثيرًا من سلطانها، وسيكون للسمع المنزلة الأولى، ولاسيما الملكات اللسانية وصناعة القول، ولا نشك في أن السمع حينئذ سيصبح أكثر حساسية»[4].

وخَلْقُ الأذنِ بلغَ من الدقة ما يثير العجب، وبلغت الأذنُ في دقة حساسيتها أن تميز بين الفونيمات الصوتية المتغايرة في الشدة والرخاوة والاهتزاز، وبين المتشابهات من الأصوات، بل أصبح السمع قادرًا على الحكم على النص الأدبي[5]، فـ «تمييز اللفظ الحسن من اللفظ القبيح يحصل بأدنى كلفة؛ لأن المرجع في ذلك إلى الحاكم المطلق، وهو السمع، فما استحسنه كان حسنًا، وما استثقله كان قبيحًا»[6]، كما تعد «حاسة السمع وسيلة للمفاضلة بين لفظين يشتركان في المعنى، ويتباينان في صوتهما اللفظي وجرسهما، وإن قيمة هذا التباين

(١) ينظر: نفسه، ص١٠.

(٢) الصورة السمعية في الشعر الجاهلي، صاحب خليل إبراهيم، بغداد: دار السلام، ط١، ٢٠٠٥م، ٧١.

(٣) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: لجنة البيان العربي، ط٣، ١٩٦٥م، ١/ ٥٤٦.

(٤) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ١٩٣.

(٥) ينظر: ألفاظ السمع في القرآن الكريم- دراسة لغوية، شكيب الحلفي، ص٨.

(٦) دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، القاهرة، الرسالة، ط٣، ١٩٤٥م، ص ١١٠.

وأثره السار والمنفر يمكن إدراكه بواسطة الأذن»[1]، وكل ذلك يعد دليلاً واضحًا يُثبت مدى أهمية نسبة تكرار مفردة (السمع) في القرآن الكريم.

إذن فالسمع هو السبيل الأول المتصل بالثقافات اللغوية؛ لارتباطه الشديد بالصوت، كما أنَّ له أهميته في التمييز بين الألفاظ الحسنة والألفاظ القبيحة، فكما هو معروف أن الصحابة في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- كانوا يعرفون القراءة الجيدة والملحنة من خلال الصوت والاستماع، يُقرأ القرآن أمامهم ويستطيعون من خلال السمع التمييزَ بين اللفظ الصحيح واللفظ الملحن، وهذا ليس في القرآن الكريم فحسب؛ بل في كل النصوص النثرية والشعرية، فقد استطاعوا تمييز العربيِّ الفصيح من الدخيل، والتمييز بين الأساليب والتراكيب المتشابهة، والتمييز أيضًا بين الألفاظَ المتشابهة المشتركة في اللفظ، والمختلفة في المعنى، ولذلك فأنا أرجح قول ابن خلدون أن السمع يعدُّ أبا الملكات اللسانية وأجلَّها.

المطلب الثاني: مكانة السمع ومنزلته في القرآن الكريم:

حاسة السمع هي إحدى الحواس الخمس التي أنعم الله بها علينا، نستطيع من خلالها الاتصال بالعالم الخارجي، وبالمحيط الداخلي المرتبط بالإنسان ومجتمعه، كما نستطيع من خلال هذه الحاسة إدراك الأصوات والإحساس بها، والتمييز بينها، وقد تكرر لفظ السمع في القرآن الكريم في كثير من الآيات منفردًا ومقترنًا بغيره من الجوارح، كالبصر والفؤاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء ٣٦)، غير أن السمع في أغلب مواضعه يكون مقترنا بالبصر، وجاء هذا الاقتران في ثمان وثلاثين آية كريمة[2]، وقد قدم القرآن ذكر السمع على البصر في جميع الآيات إلا في موضعين، هما:

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، بغداد: دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨٠م، ص ٢١.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث، ١٣٦٤هـ، ص ٣٥٨-٣٦١.

١- في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة ١٢)، وقد علل الدكتور عبد الفتاح لاشين تقديم البصر على السمع هنا بتعليل يتعلق بقوة الحدث الذي صورته الآية وشِدَّته، وهو «أن هذه الآية في وصف مشهد من مشاهد يوم القيامة، وأول ما يفاجئ الإنسان يوم القيامة هو مرئيٌّ ومشاهَدٌ، لا مسموع ... فقدم (البصر) على (السمع)»[(١)].

٢- في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود ٢٤)، ويرجع التقديم إلى أنه لما كانت أعمال المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وأعمال الكفار المعرضين عن عبادة الله مما يرى ويشاهد؛ لذلك قدم البصر على السمع[(٢)].

أمَّا بقية المواضع فقد قُدِّم فيها السمعُ على البصر، وهذا يدل على الأهمية الكبرى للعمل الذي يقوم به السمع في حياة الإنسان تعلماً وتعليما، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ (يونس ٣١)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون ٧٨)، وغيرها كثير من المواضع، **وقد استنبط العلماء المعاصرون من تقديم السمع على البصر حِكَماً عديدة، من أهمها**[(٣)]:

(١) صفاء الكلمة، عبد الفاتح لاشين، الرياض: دار المريخ للنشر، مصر: مطبعة النهضة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٤٠.

(٢) ينظر: أفعال السمع في القرآن الكريم- دراسة إحصائية دلالية، حفيظة سكران، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، (بحث محكم)، جامعة وهران بالجزائر، ٢٠١٩م، جسور المعرفة، المجلد: ٥، العدد ١، ص٣٣٩.

(٣) ينظر: السمع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، عبد الله الخطيب، ص١٤.

١- حاسة السمع أهم للإنسان من حاسة البصر؛ لأن الفرد الأعمى يُعدُّ معزولًا عن عالم الأشياء، أما الأصم فإنه يعدُّ معزولًا عن عالم البشر(١).

٢- تأكيد الدور الذي تقوم به الأذن، إذ إن الإحساسات الصوتية التي يسمعها الإنسان بأذنيه تصل مستوى الوعي بصورة أحسن من تلك التي تصله عن غير طريقها، كالبصر مثلًا، والذاكرة السمعية أرسخ من الذاكرة البصرية(٢)؛ ولذلك فالقرآن يعبر في بعض آياته ويصف الأذن بالوعي، في مثل قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة ١٢).

٣- في تقديم السمع على البصر لمحة إعجازية طبية؛ إذ ثبت علميًّا أن «جهاز السمع يتطور ويتكامل جنينيًّا قبل جهاز البصر»(٣)، وخلاصة ما قاله العلماء في هذا المجال هو أن القرآن الكريم قدم حاسة السمع على حاسة البصر؛ ليشير إلى حقيقة علمية تتعلق بزمن تكوُّن حاسة كل منهما وتشكلهما، فحاسة السمع تتكون وتتشكل للجنين قبل حاسة البصر(٤).

٤- أيضًا من أسباب تقديم السمع على البصر هو أن المناطق السمعية العصبية تتطور وتنضج قبل تطور ونضوج مثيلاتها البصرية بمدة طويلة(٥)؛ والسبب في ذلك يعود إلى قرب منطقة حس السمع من قشرة المخ التي تؤثر في نمو الإدراك اللغوي.

٥- أن الله -سبحانه وتعالى- قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا العمى، وهذا ما لفت ابن قتيبة الذي احتج بقوله

(١) ينظر: الإدراك الحسي البصري والسمعي، السيد علي سيد أحمد، وفائقة محمد بدر، ص٢٥٣.
(٢) ينظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر، صادق الهلالي، مجلة الإعجاز، ص٩-١٠.
(٣) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر، صادق الهلالي، ص٧.
(٤) ينظر: السمع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، عبد الله الخطيب، ص١٤.
(٥) ينظر: الإعجاز العلمي في السمع والبصر في القرآن الكريم، صادق الهلالي، وحسين اللبيدي، هيئة الإعجاز العلمي، جدة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ط٣، ص١٧-٢٨.

تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس ٤٣)، فجعل مع الصمم فقدان العقل، وجعل مع العمى فقدان البصر[١].

٦- القوة السامعة تدرك المسموع من جميع الجوانب، في حين أن القوة الباصرة لا تدرك المرئي إلا من جهة واحدة هي المقابل[٢].

ويلحظ أيضًا أن القرآن الكريم يفصل بين أداة الجسم (العين والأذن)، وبين أدوات الإدراك (السمع والبصر)، فعند حديثه عن العين والأذن يقدم العين على الأذن؛ وذلك لأن العين تقع أمام الأذن في صنعة الله لرأس الإنسان، وهما أداتان لنقل الإشارات الحسية والسمعية والبصرية إلى حيث يتم إدراكها وفهمها داخل مراكز السمع والبصر في المخ، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة ٤٥)، في حين أن القرآن عندما يتحدث عن السمع والبصر كقوى مدركة فيقدم السمع على البصر؛ لأن مركز السمع يتقدم على مركز البصر داخل المخ البشري، وهنا موطن الإعجاز في تطابق الأخبار عن هذين الأمرين[٣].

ونخلص من ذلك إلى أنَّ القرآن الكريم أكد على أهمية السمع، وذلك تبعًا للدور الوظيفي الذي يؤديه، وقد تعمل هذه الحاسة بمفردها في عملية الإدراك، وقد تعمل مع أخرى كالبصر أو العقل أو القلب، وترتبط معها ارتباطًا شديدًا؛

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: إبراهيم شمس الدين بيروت: دار الكتب العلمية، ص٧. وينظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٧/ ١٠١، وينظر: عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، ص٢٠٢.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٧/ ١٠١.

(٣) ينظر: السمع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، عبد الله الخطيب، ص١٥.

لكي تؤدي وظيفتها على أكمل وجه، كما يتضح لنا مما سبق الإعجاز العلمي الذي يتميز به القرآن الكريم عن سائر الكتب، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود ١)، فالقرآن يفصل بين (الأذن والعين)، وبين الوظائف التي تقوم بها، وهي (السمع والبصر)، فعندما يتحدث عن العين والأذن يقدم العين على السمع؛ لمطابقة ذلك مع صنعة الله في خلقه، فالعين تتقدم على الأذن في رأس الإنسان، ولكن ينعكس هذا الترتيب عندما يتحدث القرآن عن قوى الإدراك، فهو حينئذ يقدم السمع على البصر؛ لأن مركز السمع يتقدم على مركز البصر في قشرة المخ البشري.

المبحث الثاني:

السياق الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم

تنوع السياق الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم، حيث جاء التنوع في الحديث عن السمع من حيث معانيه، ودلالاته، وصيغه، واشتقاقاته المتنوعة، وجاء التنوع في القرآن الكريم كالآتي:

المطلب الأول: سياق المدح والذم:

- **سياق المدح:**

وردت مجموعة من الآيات التي أثنى فيها الله-سبحانه وتعالى-على المؤمنين في صفاتهم وتعاملهم، ولا يسعني الحديث عنها جميعًا، ولكن لعلي أذكر بعضًا منها، ومن تلك الآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر ١٧-١٨).

يقول ابن عاشور: «وفُرِّعَ عَلى قَوْلِهِ: (لَهُمُ البُشْرى) قَوْلُهُ: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، وهم الَّذين اجتَنبُوا الطاغوت، فَعدل عن الإتيان بضميرِهِم بأن يُقال: فَبشِّرهم، إلى الإظهار باسم العِباد مُضافًا إلى ضمير اللَّه تَعالى، وبالصِّلة لزيادة مدحِهم بصِفتين أُخرَيين وهُما: صِفَةُ العُبُودِيَّة للَّه، أي: عُبُوديَّة التَّقَرُّب، وصفةُ استِماعِ القَولِ واتِّباعِ أحسنِه»[1]. ففي هذه الآيات مدحٌ من الله تعالى للذين يستمعون القول، ويفهمون ما سمعوه، بل يستثمرونه أيضا في العمل الصالح، ويتبعون أرشده وأهداه وأدله على توحيد الله، والعمل على طاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد[2].

(١) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ٢٣/ ٣٦٥.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٢/ ٢٤٥.

أيضًا من الآيات التي تضمنت أساليب المدح للمؤمنين في الكتاب الكريم، والتي تشتمل على صفة التأثر والخشوع عند سماع القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة ٨٣)، أي: «ذلك بسبب أنهم لا يَسْتكبِرُونَ، وأنَّ أعيُنَهم تَفيضُ مِنَ الدَّمعِ عِنْدَ سَماعِ القرآن، وهو بَيانٌ لِرِقَّةِ قُلُوبِهم وشِدَّةِ خَشيَتِهِمْ، ومُسارَعَتِهِمْ إلى قَبُولِ الحَقِّ، وعَدَمِ إبائِهِمْ إيّاهُ، ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾؛ أيْ: تَمْتَلِئُ بالدَّمْعِ، فاسْتُعِيرَ لَهُ الفَيْضُ الَّذي هو الِانصِبابُ عَنِ امْتِلاءٍ مُبالَغَةً، أو جُعِلَت أعيُنُهم مِن فَرطِ البُكاءِ كَأنَّها تَفيضُ بِأنفُسِها»[1].

- **سياق الذم:**

لقد ذم القرآن الكريم أولئك الذين لا يعملون بما سمعوه من حق، وجعلهم كالصُّم، بل في موقع أدنى من الحيوان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف ١٧٩)، ففي قوله: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، أي: أنهم يسمعون آيات كتاب الله، ولكنهم يعرضون عنها، بل إنهم يوصون بعضهم بعضًا بعد سماع القرآن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦)، وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾، (البقرة: ١٧١)، والعرب تقول ذلك للتارك استعمالَ بعض جوارحه فيما يصلح له، ويقول ابن جرير الطبري: «هؤلاء الكفرة الذين ذَرَأهم لجهنم، أشدُّ ذهابًا عن الحق، وألزم لطريق الباطل من البهائم؛ لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز، وإنما هي مسَخَّرة من الله تعالى، ومع ذلك تهرب من الأمور الضارة لها، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح، والذين وصفَهم الله في هذه الآية، مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميِّزة

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٣/ ٧٢.

بين المصالح والمضارّ، يتركون ما فيه صلاحُ للدنيا والآخرة، ويطلبون ما فيه مضارّ لهم، فالبهائم منهم أسدُّ، وهم منها أضل، كما وصفهم به ربُّنا جل ثناؤه»[1].

المطلب الثاني: سياق الأمر والنهي:

- **سياق الأمر:**

جاء النص القرآني بمجموعة من الآيات التي تتضمن أسلوب الأمر، وجاء الخطاب فيها متنوعًا متعددًا، ففيها خطاب للكافرين، وفيها أيضًا خطاب للمؤمنين، وسياق الأمر يختلف فيما بينها من حيث القوة واللين، والشدة والرخاوة، ومثال القوة والشدة في خطاب المولى-عز وجل- لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة ٩٣)، يقول الألوسي:«المراد من ذلك خُذُوا ما أَمَرْتُكم بِهِ فِي التَّوْراةِ على أن يكون هذا الأخذ (بجدٍّ وعدم فُتور)، واسمعوا أيضًا، على أن يكون هذا السمع سَماع (تَقَبُّل وطاعَة)، إذ لا فائدة في الأمرِ بالمُطلق بعد الأمر بالأخذ بقُوَّة بخلافه على تقدير التَّقييد، فإنَّه يُؤكده ويُقرره؛ لاقتضائه كمال إبائهم عن قبول ما آتاهم إيّاهُ»[2]، فالأمر الموجه ليهود بني إسرائيل في هذه الآية كان بعد أخذهم للميثاق بالعمل بالتوراة، وكان ردهم على هذا القول هو: (سمعنا قولكم وعصينا أمركم).

في حين أن السياق يختلف عندما تحدث عن المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٦﴾﴾ (التغابن ١٦)، يقول ابن عاشور: «والمُرادُ: اسْمَعُوا اللَّهَ، أيْ أطِيعُوه بِالسَّمْعِ لِلرَّسُولِ ﷺ وطاعَتِهِ»[3].

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٣/ ٢٨١.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، ١/ ٣٢٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ٢٨٨.

فالفرق بين السمعين هنا: أن الأمر بالسمع للمؤمنين جاء بعد الأمر بالتقوى، ويكون بقدر الاستطاعة، في حين أن الأمر بالسمع في خطاب بني إسرائيل جاء قويًّا ومشدِّدًا ومؤكدًا.

- **سياق النهي:**

ورد النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال ٢١)، يقول جل ثناؤه لأصحاب رسول الله ﷺ: «لا تكونوا أنتم أيها المؤمنون في الإعراض عن أمر رسول الله، وترك الانتهاء إليه، وأنتم تسمعونه بآذانكم، كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم، ويقولون: قد سمعنا، وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون، كمن لا يسمَعُها»[(١)]، فهنا وصفهم الله سبحانه وتعالى في سماعهم كتابَ الله وعدم انتفاعهم واتعاظهم به بمن لا يسمع، فما فائدة السمع هنا إذ لم يكن فيه اتعاظ وانتفاع وتفكر؟! لذلك وصفهم الله تعالى بعدم السمع، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

أما في سياق حديثه -جلَّ في علاه- عن المؤمنين، فهو سبحانه يصفهم بسماع أوامره والطاعة لها، ولهذا مدحهم الله تعالى في قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور ٥١)، فمن صفات المؤمنين هنا في هذه الآية الطاعة والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم، ولذلك وصفهم الله تعالى بأنهم هم المفلحون والمخلدون في جنات النعيم.

فالفرق بين السياقين هنا: أن الله سبحانه في حديثه عن المشركين ذمَّهم ووصفهم بعدم السمع، بالرغم من سماعهم كتابَ الله، ولكنهم لم ينتفعوا به، ولم يمتثلوا لأوامره، فشبههم بعدم السماع، في حين أن خطابه مع المؤمنين كان فيه مدح لهم؛ لما هم فيه من الطاعة والاتعاظ، ووصفهم الله تعالى بالمفلحين، أي: الناجين من عذاب الله والفائزين بالنعيم.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٣/ ٤٥٨.

المطلب الثالث: سياق التوكيد والقصر:

- **سياق التوكيد:**

ورد في كتاب الله مجموعة من الآيات التي تتضمن معنى التوكيد، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء ٣٦)، يقول ابن عاشور: «أي أَنَّكَ أَيُّها الإنْسانُ تَسْألُ عَمّا تُسْنِدُهُ إلى سَمْعِكَ وبَصَرِكَ وعَقْلِكَ بِأنَّ مَراجِعَ القَفْوِ المَنهِيِّ عَنْهُ إلى نِسْبَةٍ لِسَمْعٍ أوْ بَصَرٍ أوْ عَقْلٍ في المَسْمُوعاتِ والمُبْصَراتِ والمُعْتَقَداتِ»[1]، فقد أكد -سبحانه وتعالى- كلامه عن وسائل المعرفة الإنسانية (السمع-البصر-والفؤاد) بـ (إن)، و(كل)، والجملة الاسمية؛ وذلك لتمكين المعنى في نفوس المخاطبين، وهو أن وسائل المعرفة والإدراك العظيمة هذه سيسأل عنها الإنسان يوم القيامة[2].

كما نجد أسلوبًا آخر للتوكيد في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون ٧٨)، أكد الجملة هنا بضمير الشأن (هو)؛ ليفيد القصر والاختصاص بأنه تعالى وحده الذي وهب الإنسان وسائل المعرفة[3]، «وإنما خصَّ السمع والأبصار والأفئدة؛ لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالا يتعلق بغيرها، ومقدمة منافعها أن يُعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم، ومن لم يُعملْها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا

(١) يوضح ابن عاشور معنى القَفْو وهو: الاتِّباعُ، يُقالُ: قَفاهُ يقفُوهُ إذا اتَّبَعَهُ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ اسْمِ القَفا، وهو ما وراءَ العُنُقِ، واسْتُعِيرَ هَذا الفِعْلُ هُنا لِلْعَمَلِ، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥/ ١٠١.

(٢) ينظر: السمع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، عبد الله الخطيب، ص٢٢.

(٣) ينظر: نفسه، ص٢٢.

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأحقاف ٢٦)، ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها، وأن لا يُجعل له ندّ ولا شريك»[١].

- **سياق القصر:**

جاء أسلوب القصر بإنَّما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام ٣٦)، يقول تعالى في ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يكبُرنَّ عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربّهم والإقرار بنبوّتك، فإنه لا يستجيب لدعائك إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق، وسهَّل لهم اتباع الرُّشد، أمَّا من ختم الله على سمعه، فلا يفقه من دعائك شيئا، فهم كما وصفهم به الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ١٨)، وقوله: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾، يقول: والكفارُ يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم الله تعالى في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتًا، ولا يعقلون دعاءً، ولا يفقهون قولا إذ كانوا لا يتدبرون حُجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون، فينزجرون عمَّا هم عليه من تكذيب رُسل الله وخلافهم[٢].

وقد استعمل أسلوب الحصر هنا؛ لبيان الاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى، فالمؤمنون هم من يستجيبون لتلك الأوامر حق الاستجابة، ويوظفونها فيما أمرهم الله تعالى، بخلاف المشركين الذين يسمعون كلام الله ولا يمتثلون لأوامره، فيخرجهم الله من هذا القصر، ويشبههم بالموتى الذين لا يسمعون صوتًا، ولا يفقهون قولًا.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ط٣، ٣/ ١٩٨-١٩٩.

(٢) بنظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١١/ ٣٤١.

المبحث الثالث:

الاستعمال الدلالي لألفاظ السمع في القرآن الكريم

ويقصد به تتبع المعنى المشترك لمتفرقات لفظية تندرج تحت معنى عام يجمعها[1]، فهي ممارسة فنية تمثل أداة من أدوات البحث المنهجي المنظم الذي يعتمد على رصد الملامح الدلالية الممتدة بين تلك البنى النحوية[2]، وفي هذا المبحث سيكون المعنى العام هو (السمع)، ثم سأورد بعضًا من الألفاظ التي تندرج تحت هذا اللفظ العام، مبينة السياقات التي وردت فيها تلك الألفاظ، والعلاقات التي تربط بينها، ومتابعة المفردة في كتب المعاجم والتفسير، وهذه الألفاظ هي: (أذن - تلقَّى- جسَّ -حسَّ- سَمِعَ - صخَّ- صَغى- صَمَم- نصتَ- وَجسَ- وَقَر)، وهي كالآتي:

١- (أَذِن):

في اللغة: أَذِنَ بالشَّيءِ، (كسَمِعَ إِذْنًا)، وأَذانًا وأَذانَةً، كسَحاب وسَحابَةً، أي: (عَلِمَ به)، وَمِنْه قوْلُه تعالَى: (فَأْذَنوا بحَرْب)،أي فاعلموا، وآذَنَهُ الأَمْر وآذَنَهُ: أَعْلَمَهُ به، وأَذَّنَ تأْذِينًا: أَكْثَرَ الإِعْلامَ بالشَّيءِ، وأَذِينًا، كأَمِير: (أَباحَهُ لَهُ)، واسْتَأْذَنَه: طَلَبَ منْهُ الإِذْنَ، ويقالُ ائْذَنْ لي على الأَمير، أَي خُذْ لي مِنْهُ إِذْنًا، وأَذِنَ إِلَيْه، أي: (اسْتَمَعَ إِلَيْه)، وأَذِنَ رائحة الطَّعام إذا (اشْتَهاه ومالَ إِلَيْه)، ومنه أَذِّن: بمعنى النداء، ومنه قوْلُه عزَّ وجلَّ: (وأَذِّنْ فِي النَاسِ بالحجِّ)[3].

(١) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م، ص٥٣٦.

(٢) ينظر: نفسه، ص٥٣٦.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تح: مجموعة من المحققين، الكويت: دار الهداية (أذن)،٣٤/ ١٦١-١٦٤، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: عبد الحميد هنداوي، الناشر: بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، (أذن)،١٠/ ٩٦. وينظر: مختار الصحاح، محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، بيروت - صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، (أذن)، ص١٦.

وجاءت هذه المفردة في المعاجم القديمة بخمسة معانٍ[1]، وهي: (السمع- العِلم- الإباحة- الميل- النداء).

وقد ورد هذا اللفظ في النص القرآني في مئة موضعٍ وواحد[2]، من تلك المواضع ما يلي:

- (أَذِنَت)، أي: سمعت، وجاءت مرتين في القرآن في سورة الانشقاق، في قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق ١-٢)، يقول الطبري: «وَسَمِعَت السماوات في تصدّعها وتشققها لربها، وأطاعت له في أمره إياها، والعرب تقول أيضًا: أذن لك في هذا الأمر أذنًا، فهو بمعنى: استمع لك، ومنه الخبر الذي رُوي عن النبيّ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ كأَذَنِهِ لنَبِيّ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ»، يعني بذلك: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ يتغنى بالقرآن»[3].

﴿وأذِنَت﴾، أي: استمعت، وفعلُ أذِنَ هنا مُشتقٌّ من اسم جامد، وهو اسمُ (الأُذُن)، ويقصد به آلَةُ السَّمع في الإنسان، يُقالُ: أُذُنٌ له، كما يُقالُ: استَمِعْ له، أي: أصْغَى إليه أُذُنَهُ. وهو هنا مَجازٌ مُرسلٌ في التَّأثُّر لأمر اللَّهِ التَّكوينيِّ بأن تنشقَّ، وليس هو باستعارةٍ تبعيَّةٍ ولا تمثيليَّة، والتَّعبير بـ (رَبِّها) دون ذلكَ من أسماء اللَّهِ وطُرق تعريفه؛ لما يُؤذِنُ به وصف الرَّبِّ من المُلك والتَّدبير، وجُملةُ (وحُقَّتْ) مُعترضةٌ بين المَعطُوفة والمعطُوف عليها، والمعنى: وهي محقُوقةٌ بأن تَأذنَ لرَبِّها لأنَّها لا تَخرُجُ عن سُلطان قُدرته وإن عَظُمَ سُمكها واشتَدَّ خلقُها؛ فما ذلكَ كُلُّهُ إلّا من تقديرِ اللَّهِ لَها، فهو الَّذي إذا شاء أزالَها[4].

(١) ينظر: تاج العروس،٣٤/ ١٦١-١٦٤، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ١٠/ ٩٦، وينظر: مختار الصحاح، ص ١٦.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٢٥-٢٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٤/ ٣٠٩.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/ ٢١٨-٢١٩.

- (فأذنوا) وردت مرة واحدة بمعنى اعلموا، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة ٢٧٨-٢٧٩)، ويوجد مسألتان في تفسير معنى (فأذنوا) في هذه الآية، المسألة الأولى: أن المعنى هنا (اعلموا)، أي: إن لم تنتهوا وتبتعدوا عن الربا فاعلموا بحرب من الله ورسوله[1]، والثانية: إن (فأذنوا) هنا «من الأذن، وهو الاستماع، يقال: أذن له أذنًا: أي استمع»[2]، ومن المحتمل أن أصحاب هذا التفسير قرؤوها بالمد (فآذنوا) أي: أعلموا بها غيركم، وهو مأخوذ من الإذن، وهو الاستماع؛ لأن الاستماع من طريق العلم[3]، والأرجح عندي هو قول الرازي بأن اللفظة في هذه الآية جاءت بمعنى اعلموا بحرب من الله ورسوله، يقول ابن عاشور: جاء التنكير في قوله ﴿بِحَرْبٍ﴾؛ «لِقَصْدِ تَعْظِيمِ أَمْرِهَا، ولِأَجْلِ هَذَا المَقْصِدِ عَدَلَ عَنْ إضافَةِ الحَرْبِ إلى اللَّهِ، وجِيءَ عِوَضًا عَنْها بِـ (مِن)، ونُسِبَتْ إلى اللَّهِ؛ لِأَنَّها بِإذْنِهِ عَلى سَبِيلِ مَجازِ الإسْنادِ، وإلى رَسُولِهِ لِأَنَّهُ المُبَلِّغُ والمُباشِرُ، وهَذا هو الظّاهِرُ»[4].
- وجاء في موضع آخر، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ (فصلت ٤٧)، ذهب بعضٌ إلى أن المعنى:

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٧/ ٨٤.

(٢) حاشية محيي الدين الشيخ زاده، محمد بن مصطلح الدين الشيخ مصطفى التوجي الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي، ض: محمد عبد القادر شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م، ٢/ ٦٧٤.

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري،١/ ٣٢٢، وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي، تص: السيد باسم الرسولي المحلاتي، بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٧٩هـ، ٣/ ٣٩٢، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ١/ ٣٣٨.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/ ٩٤.

(أسمعناك)[1]، في حين رأى الآخرون أن المعنى: (أعلمناك)[2]، وترى الباحثة أن السياق في هذه الآية يختلف عمَّا سبق في قوله: (فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ)؛ لأن السياق هنا جاء بصيغة الأمر، أي فاعلموا، في حين أن السياقَ الثاني (قَالُوا آذَنَّاكَ)، فأرى أن اللفظة تحتمل كلا المعنيين السابقين (أسمعناك)، و(أعلمناك)، لا فرق بينهما؛ لأنهم إذا سمعوه فقد أعلموه، ولأن السمع من طرق العلم.

- (أُذُن)، وردت هذه الصيغة خمس مرات في مواضع وسياقات مختلفة، ومن تلك المواضع ما ذكر في جزاء الاعتداء، كقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة ٤٥)، فالأذن هنا يقصد بها (جارحة الأذن) التي تُدرَك بها المسموعات، كذلك ما ذكر في وصف للنبي -صلى الله عليه وسلم- على لسان المشركين، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة ٦١)، أي: (أذن سامعة)، يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدِّقه[3]، يقول ابن عاشور: «وَمَعْنَى ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ الْإِخبارُ عَنهُ بِأَنَّهُ آلَةُ سَمْعٍ، وهذا الإخْبارُ يعد مِن صِيغِ التَّشْبِيهِ البَلِيغ، أيْ كالأُذُنِ في تَلَقِّي المَسْمُوعاتِ لا يَرُدُّ مِنها شَيْئًا، وهو كِنايَةٌ عَنْ تَصْدِيقِهِ بِكُلِّ ما يَسْمَعُ مِن

(١) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تح: عبد الله محمود شحاتة، القاهرة: المكتبة العربية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٢٦٢، وينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى، تح: حاتم صالح الضامن، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٨٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا بن زياد الفراء، تح: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٧٢م، ٣/ ٢٠، وينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم الزجاج، تح: عبد الجليل شلبي، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م، ٤/ ٣٩١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٤/ ٣٢٤.

دُونِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ المَقْبُولِ والمَرْدُودِ»[1]. ولفظ (أُذُن) بالضم، أينما ورد في التعبير القرآني فيراد به حاسة السمع إلَّا في هذه الآية: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ فالمقصد منها: «المستمع القابل لما يُقال»[2].

- كما ذكرت هذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة ١٢]، فقوله ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، أي: تحفظُ قصَّتَها (أُذُنٌ) من شأنها أن تعي المَواعظ، يُقال: وعيتُ لما حُفِظَ في النَّفس، وأوعيتُ لما حُفِظَ في غير النَّفس من الأوعية. وقال قتادة: الواعيةُ هي الَّتي عقلت عن اللَّه، وانتَفَعَتْ بما سمعت من كتاب اللَّه[3].
- (إِذْن) بالكسر، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ (آل عمران ١٤٥)، والمعنى من ذلك أن الإنسان لا يدري متى تكون منيته، ومتى تُقبض روحه من هذه الدنيا، فهي من الأمور الغيبية التي تكون بعلم الله ومشيئته، لا يستطيع أي مخلوق معرفتها. يقول الراغبُ: بينَ الإذنِ والعِلم فرقٌ، فإنَّ الإذْنَ أخصُّ من العلم إذ لا يكاد يُستعمل إلَّا فيما فيه مَشيئةٌ، ضامتِ الأَمْرَ أَو لم تضامه، فإنَّ قوْلَه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ مَعْلومٌ أنَّ فيه مشيئةً وأمَدًا[4].

ومن هنا يمكن القول: إن لفظ (أَذَنَ) ورد في القرآن الكريم في مجموعة من المواضع والسياقات المختلفة، تكرر بعضها في أكثر من موضع، مثل: (إِذْن) و(أَذِنَت)، وبعضها جاء مرة واحدة، مثل: (أُذُن)، كما جاء في وصف المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم، وجاءت هذه اللفظة من خلال الرجوع للمعاجم المختلفة بمعان متعددة، منها: السمع والعلم والنداء والإباحة والميل، وكل من هذه المعاني له مواضعه وسياقاته المتنوعة.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠/ ٢٤٢.
(٢) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٧م، مادة (أذن).
(٣) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، ١٠/ ٢٥٦.
(٤) ينظر، تاج العروس، الزبيدي، ٣٤/ ١٦٢.

٢- (تلقَّى):

قال ابن فارس: «(لَقِيَ)، اللَّامُ وَالْقَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا يَدُلُّ عَلَى عِوَجٍ، وَالْآخَرُ عَلَى تَوَافِي شَيْئَيْنِ، وَالْآخَرُ عَلَى طَرْحِ شَيْءٍ»(١).

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في مئة وستة وأربعين موضعًا(٢)، منها ما يلي:

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق ٣٧)، «إلقاءُ السَّمع: مُستَعارٌ لشدَّة الإصْغاء للقُرآن، والاستماع لمَواعظ الرَّسُول -صلى الله عليه وسلم- كأنَّ أسماعهم طُرحت في ذلك فلا يَشغلُها شَيءٌ آخر تسمَعهُ»(٣)، فكما هو معلوم أن الإلقاء يكون بإلقاء الكلام على الشخص المستمع، في حين أن التلقي يكون بأخذ الحديث وسماعه من الشخص المُلقي، يقول الفراهيدي: «والرجل يُلقي الكلام والقراءة أي يُلقِّنه، وتَلَقَّيْتُ الكلام منه: أخذته عنه»(٤)، والإلقاء في هذه الآية هو إلقاء مستعار، فهو إلقاء للسمع والإنصات عوضًا عن إلقاء الكلام، فـ«إلقاءُ السَّمع مع المشاهدة يُوقِظُ العَقل للذِّكرى والاعتبار»(٥)، وإنما كان ذلك دلالة على شدة استماعهم، وكأنهم لا يستمعون لغير هذا القرآن وهذه المواعظ.
- وكذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الشعراء ٢٢١-٢٢٢)، (يُلْقُونَ السَّمْعَ) هي: صِفَةٌ لِـ(كُلِّ أفّاكٍ أثِيمٍ)، ومعنى ذلك: أنهم يُظهرون أنهم يُلقُون أسماعهم للشياطين التي

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٥/ ٢٦٠.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٦٥١-٦٥٣.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/ ٣٢٤.

(٤) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٥/ ٢١٦.

(٥) التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٢٤.

تأتيهم بالأخبار من السماء، وذلك من إفكهم وإثمهم، وإلْقاءُ السَّمع: هو شِدَّةُ الإصغاء حتى كأنَّه إلقاءٌ للسَّمع من موضعه، حيث شبَّه توجيهَ حاسَّة السَّمع إلى المَسْموع الخفي بإلقاء الحَجَر من اليد إلى الأرْض أو في الهواء، قالَ تَعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهو شَهِيدٌ﴾، أي: أبلغُ في الإصغاء ليعِيَ ما يُقالُ له، والإصغاءٌ، هو: إمالةُ السَّمْع إلى المَسْموع[1].

- كان الإلقاء في الآيتين السابقتين عن طريق حاسة السمع التي هي مصدر سماع الأصوات والمسموعات، ولكن في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور ١٥)، في قوله: ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، هنا اسْتِعارَةٌ مكنِيَّة، حيث جُعِلَتِ الألسن آلةً لِلتَّلَقِّي على طريقةٍ تَخْيِيلِيَّة، وذلك بتشبيه الألسُن في رواية الخبر بالأيدي في تناول الشَّيء، وإنَّما جُعلت الألْسُنُ آلةً لِلتَّلَقِّي مع أنَّ تَلَقِّيَ الأخْبار (بالأسماع)؛ لِأَنَّهُ لَمّا كان هذا التَّلَقِّي غايته التَّحَدُّث بالخبرَ جُعلت الألسن مكان الأسماع مجازًا بعلاقة الأيلُولَة، وفيه تعريض أيضًا بحرصهم على تَلَقِّي هذا الخبر، فهم حين يتلَقَّونَه يُبادِرونَ بالإخبار به بلا تَرَوٍّ ولا تريُّث[2].

ونقول هنا: إن تلقيهم الخبرَ هو تلقٍ لا إعمال للعقل فيه، أي أنهم لا يُعمِلُون عقولهم وإدراكهم في التلقي، وإنما يأخذون الأخبار وينقلونها فيما بينهم بلا تريُّث وبلا إدراك، وهذا التلقي هو مثل التلقي الذي حدث في خبر حادثة الإفك لأمنا عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنها- فقد استمع بعض المؤمنين لزعيم المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول ومن هم على شاكلته، وأحدثوا مثل هذا الخبر، وتناقله المؤمنون فيما بينهم دون إعمال للعقل والفكر والإدراك؛ لذلك قال سبحانه فيهم: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩/ ٢٠٦.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ١٧٨.

٣- (جسَّ):

يقول ابن فارس: «الجيمُ والسِّينُ أصلٌ واحدٌ، وهو تَعَرُّفُ الشَّيءِ بِمسٍّ لطيف. يُقَال جَسَسْتُ الْعِرقَ وَغيرهُ جَسًّا. وَالْجاسُوسُ فاعُولٌ من هذا؛ لأَنَّه يتخَبَّرَّ ما يُريده بخفاءٍ ولُطفٍ»[(١)]. وقيل: إن أصل الجس: مس العرق، ومعرفة نبضه؛ للحكم به على الصحة والسقم[(٢)]، يقال: تجسس الخبر جسَّه (أي استرق السمع)، وقيل: الجاسة هي الحاسة -من الحواس الخمس- والجاسوس: هو من تجسس الأخبار ليأتي بها[(٣)]، وقيل أيضًا: التجسس تتبع الأخبار، ووجسَ الخبر: أي بحث عنه[(٤)]، قال ابن الأثير: التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل في التجسس أيضًا هو البحث في العورات[(٥)].

إذن فالتجسس هو عمل يقوم به الجاسوس للبحث عن الأخبار عامة والعورات خاصة، واستراق السمع فيها، والتجسس يكون على أمرين:

- إمَّا أن يكون لنفسه، وغالبًا ما يكون لبث الفتنة ونشر الأخبار الخاصة بين الناس عامة.
- وإمَّا أن يكون هذا العمل لغيره، وهو الأغلب.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة[(٦)]، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٤١٤.
(٢) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، دار إحياء التراث العربي، ٩/ ٧٠.
(٣) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى (وآخرون)، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ١/ ١٢٢.
(٤) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة (ج سَّ)، ٦/ ٣٨.
(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات بن محمد الشيباني ابن الأثير، تح: طاهر أحمد- محمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١/ ٢٧٢.
(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص١٧٠.

اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات ١٢)، ففي قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، فظنّ المؤمن بالمؤمن الشرّ لا الخير إثم؛ لأن الله قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم[١]، فالتجسس هنا جاء بمعناه الحقيقي وهو (التسمع) بواسطة جارحة الأذن، ولكن الفرق بين التجسس والتسمع أو الاستماع هو: أن التجسس يكون في الخفاء وبنية الشر، أمَّا التسمع أو الاستماع فيكون في العلن، ويدخل فيه الخير والشر، وإن كان الخير أعم وأظهر.

يقول ابن عاشور: التَّجَسُّس من المعاملة الخفيَّة عن المتَجَسَّس عليه، وسبب النَّهي عن التجسس في هذه الآية؛ أنَّه ضربٌ من الكَيْدِ والتَّطلُّع على العَورات، وقد يرى المتَجَسِّسُ من المتجسَّس عليه ما يسُوؤُهُ؛ فتنشأُ عنهُ العداوةُ والحقدُ والفتنة أيضًا، ويدخُلُ صدرهُ الحَرجُ والتَّخوُّفُ بعد أن كانت ضمائرهُ خالصةً طَيِّبَةً، وذلك من نكدِ العَيش[٢].

ومن هنا يمكن القول: إن التجسس هو استراق السمع على الآخرين، والبحث عن الأمور المخفية والمستورة لديهم، وغالبًا ما يكون الغرض من التجسس الشر وإشاعة الفتنة، وهذا الأمر يعد من الأمور التي نهانا الله -سبحانه وتعالى- ورسوله عن اتباعها والعمل بها؛ لما فيها من المضرة ونكد العيش.

٤- (حسَّ):

حسَّ في اللغة: يقول ابن فارس: «الْحَاءُ وَالسِّينُ أَصْلَانِ: فَالْأَوَّلُ غَلَبَةُ الشَّيْءِ بِقَتْلٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالثَّانِي حِكَايَةُ صَوْتٍ عِنْدَ تَوَجُّعٍ وَشَبَهِهِ»[٣]، والحِسُّ والحَسِيس الصوت الخفي، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ (الأنبياء ١٠٢)، والحِسُّ من

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٢/ ٣٠٤.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/ ٢٥٣-٢٥٤.
(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٩.

أحسست بالشيء، يحسُّ حسًّا وحِسًّا وحَسِيسًا، وأحسَّ: شعر به، ويُقال: حستُ بالشيء إذا علمته وعرفته، وما أحسستُ بالخبر أي: لم أعرف عنه شيئًا[١].

وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في ستة مواضع[٢] بعدة دلالات، وسياقها في الآية هو الذي يوضح دلالتها، من ذلك:

- التحسس بالحواس، ويكون بحاستي السمع أو البصر، قيل: إن التحسس هو الاستماع لأحاديث الناس[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف ٨٧)، فالتحسس هنا أي: طلب الشيء بالحواس، فهو مأخوذ من الحس أو من الإحساس، أي: اذهبوا فتعرفوا من خبر يوسف وأخيه، بالحاسة كالبصر والسمع، وتطلبوه[٤]؛ لأن السمع من الحواس التي تدرك الأخبار من خلال البحث عنها، وكذلك الاستماع لها ونقلها.
- التحسس بمعنى (الوجود)[٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران ٥٢)، أي فلما وَجد عيسى - عليه السلام- من بني إسرائيل الذين أرسله الله إليهم جحودًا لنبوّته، وتكذيبًا لقوله، وصدًّا عما دعاهم إليه من أمر الله، قال: «مَن أنصاري إلى الله»؟ يعني بذلك: من أعواني على المكذبين بحجة الله، والمولِّين عن دينه، والجاحدين لنبوة نبيه؟[٦].

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦/ ٤٩.
(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٢٠٢.
(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، قرأه وعلق عليه: يحيى مراد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٧٥.
(٤) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنَّوجي، مراجعة: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، بيروت: المَكتبة العصريَّة للطباعة والنّشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٦/ ٣٩٠.
(٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ح س س)، ٦/ ٥٠، وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٦/ ٤٤٢.
(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٦/ ٤٤٣.

- التحسس بمعنى (الإفناء والقتل)[1]، الحس يأتي بمعنى القتل الذريع، وحَسَسنَاهُم أي: استأصلناهم قتلًا[2]، وهذا المعنى مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾(آل عمران: ١٥٢)، أي تقتلونهم قتلًا ذريعًا مستأصلًا.

- التحسس بمعنى (الصوت البعيد)، وهو الصوت الذي يبلغ إلى السَّمع من أبعد ما يبلغ منه المرئيُّ[3]، مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء ١٠٢)، والحَسِيس: الصَّوت الَّذي يبلُغُ الحسَّ، أي الصَّوتُ الَّذي يُسمعُ من بعيد، بمعنى أن أهل الجنة لا يقربون من النار، فهم سالمون من الفزع من أصواتها، فلا يَقرعُ أسماعهم ما يُؤلمها[4]، فأهل الجنة لا يسمعون حسيس النار إذا نزلوا منزلهم من الجنة.

ومن هنا نجد أن هذه اللفظة تتعدد معانيها في القرآن الكريم، غير أن ما يميز كل معنًى عن الآخر هو الرجوع إلى السياق، ومعرفة الدلالة التي وردت بها الآية الكريمة.

وبعد أن استعرضت الباحثة مفردة (جسَّ) و(حسَّ) ومعناهما في القرآن الكريم، سأوضح آراء اللغويين في تلك المفردتين، فقد رأَوْا فيهما رأيين متباينين:

- **الرأي الأول**: يرى توحيد الدلالة بين المفردتين، فيقال: «تجسس الرجل وتحسس بمعنى واحد، وهذا إجماع أهل اللغة»[5].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٧/ ٢٨٧.
(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ح سَّ)، ٦/ ٥١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧/ ١٥٦.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧/ ١٥٦.
(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، ص ٢٧٥-٢٧٦.

- **الرأي الثاني**: يرى بعضهم الفصل بينهما، فـ«التجسس البحث عن عورات الناس، والتحسس الاستماع لأحاديث الناس»[(١)]، وهو رأي ابن الأثير، فهو يرى أن الفرق بينهما يندرج ضمن علاقة الخصوص والعموم، فالحس أخص من الجس؛ وذلك لأن الحس تعرف ما يدركه الحس، أمَّا الجس تعرف حال ما من ذلك[(٢)].

وأرى من وجهة نظري أن الرأي الثاني هو الأصوب، فالتجسس ذكر في القرآن الكريم في موضع الشر، وهو تتبع عورات الناس، وقد نهانا الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، في حين أن الله تعالى لم ينهَنا عن التحسس، بل ذُكر في سياق الأمر وطلب التحسس، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

٥- (سَمِعَ):

السَّمع في اللغة: «إيناس الشيء بالأذن»[(٣)]، يقال: «سمِعتُ الشيء سمعًا وسماعًا»[(٤)]، قال ابن منظور: السمع حس الأذن، وهي قوة تُدرك بها الأصوات، والسمع أيضًا: الذكر المسموع، ويعبر بالسمع: الأذن، والجمع أسماع[(٥)].

والاستماع: الإصغاء[(٦)]، إذ يقال: استمعت كذا، أي أصغيتُ، وتسمعت إليه[(٧)].

وفرَّق أبو هلال العسكري بين (السمع) و(الاستماع)، فذكر: «أن الاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم، ولهذا لا يقال إن الله يستمع، أمَّا السماع

(١) ينظر نفسه، ص ٢٧٥-٢٧٦.
(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: محمد علي النجار، القاهرة: دار التحرير للطباعة والنشر، (ج سَّ)، ٢/ ٣٨٢.
(٣) مقاييس اللغة، ابن منظور،٣/ ١٠٢.
(٤) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٣/ ١٢٣١.
(٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٨/ ١٦٢، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب، ١/ ٩١٣.
(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني، (س م ع)، ص٣٥٤.
(٧) ينظر: الصحاح، الجوهري، (س م ع)، ٣/ ١٢٣٢.

فيكون اسماً للمسموع، يقال لما سمعته من الحديث: هو سماعي، ويقال للغناء سماع... والتسمع: هو طلب السمع»[1]، وعليه فإن الاستماع هو سمع وإصغاء معًا للمسموع، فهو أشد أنواع السمع وأقواه.

وقد ورد لفظ (سمع) في القرآن الكريم في عدة مواضع وسياقات وصيغ مختلفة، فقد جاء في مئة وخمسة وثمانين موضعًا[2]، وجاء السمع بمعنيين متباينين، هما: السماع الحسي، والسماع المعنوي.

فالسماع الحسي هو إدراك الصوت بالأذن، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة ٩٣)، أي: «سمعنا قولك وعصينا أمرك»[3]، معنى ذلك أنهم سمعوا ما آتاهم الله، فالسمع هنا جاء بمعناه الحقيقي، أي أنهم أدركوا ما قيل لهم بحاسة السمع، ولكن عقولهم لم تدركه، أي: لم يستجيبوا لهذا السماع، فقد سمعوا القول بآذانهم وعصوه بعقولهم. وفسره الراغب بالفهم، فقال إن المعنى: «فهمنا قولك، ولم نأتمر لك»[4]، والوجه الأول أظهر.

وذهب المفسرون في تفسير السماع في هذه الآية إلى مذهبين:

- **المذهب الأول**: أن يحمل قولهم على الحقيقة، ومعناه: سمعنا قولك وعصينا أمرك، قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف طابق قوله جوابهم؟ قلت: طابقه من حيث إنه قال لهم: اسمعوا، وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة، فقالوا: سمعنا، ولكن لا سماع طاعة»[5]، أي سمعوا قول النبي- صلى الله عليه وسلم- بآذانهم، ولكنهم عصوه.

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: حسام الدين القديس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٧٠.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٣٥٨-٣٦١.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ١/ ١٦٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (س م ع)، ص٣٥٣.

(٥) الكشاف، للزمخشري، ١/ ١٦٦، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١/ ٣٠٨.

- **المذهب الثاني**: قولهم (سمعنا) و(عصينا) مجاز، بمعنى أنهم لم ينطقوا هاتين الجملتين، ولكن لما لم يعملوا ويقبلوا أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- جعلوا كالناطقين بذلك، إذ قد يعبر بالقول للشيء عما يفهم عن حاله، وإن لم ينطق به[1].

أمَّا **السماع المعنوي** فقد ورد في عدة مواضع وسياقات مختلفة، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور ٥١)، وهنا مدح من الله تعالى للمؤمنين، وتوضيح لصفاتهم التي منها قبول الطاعة والامتثال لأوامر الله ورسوله، بقوله ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وهو نقيض لما وصف الله به المشركين في الآية السابقة، ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

وترى الباحثة أن السمع في هذه الآية هو سمع (**حسي ومعنوي**) معًا، بمعنى أنه سمع حسي؛ لأنهم سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم بآذانهم، وسمع معنوي وهو القبول والطاعة.

وخلاصة ما تقدم أن السمع يُعنَى به إدراك الصوت والمسموعات بواسطة الأذن، أما الاستماع فهو السمع والإصغاء معا، وهو أقوى درجات السمع، في حين أن السمع قد يكون سمعا حسيا، وهو السمع غير المعقلن، وهو سمع المشركين بقولهم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، أي السمع الذي يكون بالأذن ولا يستوعبه العقل، في حين أن السمع المعنوي هو السمع المبني على الإدراك، مثل سمع المؤمنين لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، فهو سمع يدركه العقل والذهن معًا، كما أن هذا السمع قد يقترن مع بعض الحواس والجوارح كما أوردته سابقًا، وكل اقتران له دلالاته ومعانيه وصيغه، والسياق هو الذي يحكم ذلك.

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١/ ٣٠٨.

٦- (صَغى):

مفهوم صغى في اللغة: يقول الفراهيدي: «صغو: والصَّغَا: ميل في الحنك وفي إحدى الشفتين، ورجل أَصْغَى وامرأة صَغْواءُ، وقد صَغِيَ يَصْغَى صَغًا، وصَغَا يَصْغُو فؤاده إلى كذا أي مال، وصَغْوُكَ إليه أي: ميلك، وأَصْغَيْتُ إليه: استمعت، والإصغاءُ: الإمالة، وصَغَتِ النُّجومُ: مالت للغروبِ»[(١)]، ومن هنا يتضح لنا أن الإصغاء -بعد الرجوع إلى المعاجم القديمة- يأتي بمعنين: معنى (الميل)، ومعنى(الاستماع).

والإصغاء في الاصطلاح وفي التعريفات الحديثة هو: «العملية التي يتم من خلالها تحويل اللغة المتكلَّم بها إلى معنى ما في العقل، وعندما يفهم الإصغاء على هذا النحو فإنه يشمل الإحساس، والتفسير، والتقييم، والاستجابة، والإصغاء عملية سيكولوجية تشمل الحدة السمعية والإحساس السمعي، أي القدرة على السمع والتمييز بين الأصوات»[(٢)].

يُقال: (صغى يصغي)، و(صغا يصغو)، هذه المادة يجوز فيها أن تكون من الواو ومن الياء أيضًا؛ لأنه قد سُمع فيها الحرفان، وقد ذكر الراغب اللغتين، ولم يذكرهما الهروي إلا في مادة الياء[(٣)].

واستعملت هذه المفردة في القرآن الكريم بمعنى (الميل) في موضعين[(٤)]، وبصيغتين مختلفين:

(١) كتاب العين، الفراهيدي، ٤/ ٤٣٢. وينظر: المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح: خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ٣/ ٣٥٠. وينظر: تاج العروس، الزَّبيدي، ٣٨/ ٤٢٥، وينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٤/ ٦٢٠.

(٢) مهارات الإصغاء، محمد عبد الكريم يوسف، الصدى. نت (elsada.net)، تاريخ الدخول: ١٤/ ١٢/ ٢٠٢١م، ١٠:٣٠مساءً.

(٣) ينظر: معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)، أحمد حسن فرحات، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص٤٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٤٠٩.

- بصيغة الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم ٤)، «وصَغَتْ: مالَتْ، أيْ مالَتْ إلى الخَيْرِ وحَقِّ المُعاشَرَةِ مَعَ الزَّوْجِ، ومِنهُ سُمِّيَ سَماعُ الكَلامِ إصْغاءً؛ لِأنَّ المسْتَمِعُ يَمِيلُ سَمْعُهُ إلى مَن يُكَلِّمُهُ»[1].

- وبصيغة الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (الأنعام ١١٢-١١٣)، أي: ولتميل إليه، الضَّمير يعود على ما عاد عليه في قوله (فعلوه) من العداوة أو الوحي أو الزُّخرف أو القول أو الغُرور، ولِيرضوه ولِيكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام[2]. والإصغاء هنا في هاتين الآيتين هو إصغاء مجازي، فالقلوب ليس لها آذان تسمع بها مقارنة بالسمع عند جارحة الأذن، ولكن المعنى جاء بأن قلوبهم تميل إلى وحيهم، فتقوم عليهم الحجة، فإصغاء الأفئدة هو إصغاء مجازي سواء في الاتباع أو في قبول القول.

أمَّا في معنى الاستماع فيُستعمَل الرباعي: (أَصْغَى يُصْغِي إصغاءً). واسم الفاعل المذكر «مُصْغٍ» والمؤنث مُصْغِية (أذُن مُصْغِية)، وأصغى لا يعني مجرد الاستماع، ولكن حسن الاستماع والاهتمام بما يُسمَع، وجاء في بعض المعاجم العربية الحديثة تعبير: (**كلنا آذان صاغية**)، وذلك تَبَنٍّ لخطأ شائع[3]؛ لأنها اسم فاعل من الفعل (صغا) الثلاثي بمعنى (مال)، وحيث ثبت الثلاثي ثبت

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ٣٥٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٤/ ٦٢٠.

(٣) معجم تصحيح لغة الإعلام العربي، عبد الهادي أبو طالب، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، (المكتبة الشاملة)، ص١٥.

اسم الفاعل منه بالضرورة، فالمعنى الأصح: (مُنْصِتة أو مُستمِعة)[1]، وقد بين أبو هلال العسكري الفرق بين السمع والإصغاء، فذكر أن السمع هو: إدراك المسموع، وأما الإصغاء فهو: طلب إدراك المسموع بإمالة السمع إليه[2]، أي إمالة السمع أو الإذن إليه.

ومن هنا نستطيع أن نفرق بين السمع والإصغاء: فالسمع هو التقاط ذبذبات الصوت من الآخرين أو من الأشياء المحيطة بالسامع عفويا دون قصد، أما الإصغاء فهو لا يعني مجرد الاستماع فحسب؛ بل حُسن الاستماع والاهتمام بما يُسمَع، والتفاعل مع الصوت بقلبه وعقله ومشاعره وجوارحه أيضًا.

٧- (نصت):

الإنصات في اللغة: «السكوت لاستماع شيء»[3]، تقول: «أنصِتُوه وأنصِتُوا له»[4]، والإنصات على لغتين، يقال: «أنصَت للشيء، ونصَتَ بمعنى واحد: إذا استَمع، واللغة الأولى أفصح وهي لغة القرآن»[5]، وقد قيَّده الراغب والفَيُّومي بالاستماع، يقال أنصَت يُنصت إنصَاتًا، إذا سكت سُكوت مُستَمع[6].

وذكر الرازي: أن «الإنصات سكوت مع استماع، ومتى انفك أحدهما عن الآخر لا يقال له إنصات»[7]، فالسكوت هو شرط للإنصات، ومتى ما اختل هذا الشرط فلا يعد إنصاتًا.

(١) ينظر: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، القاهرة: عالم الكتب، ط:١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ١/ ٤٨٢.
(٢) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٧٠.
(٣) العين، الخليل الفراهيدي، (أنصت)، ٧/ ١٠٦.
(٤) الصحاح، الجوهري، (ن ص ت)، ١/ ٢٦٨.
(٥) الفرق بين الحروف الخمسة، ابن السيد البطليوسي، تح: علي زوين، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٦م، ص٧٥٣.
(٦) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ٥/ ١٢١.
(٧) التفسير الكبير، الرازي، ٢٢/ ٤٧.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في موضعين بصيغة الأمر[1]، الأول: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ (الأحقاف ٢٩)، يقول ابن عاشور: جملة (يستمعون القرآن) جاءت في موضع الحال من الجن، وهي قيد لعاملها وهو (صرفنا)، والتقدير يستمعون منك إذا حضروا، فصار ذلك مؤدِّيًا مؤدَّى المفعول لأجله، وأصل المعنى: صرفناهم إليك ليستمعوا القرآن، كما أن ضمير حضوره عائد إلى القرآن، وتعدية فعل حضروا إلى ضمير القرآن تعدية مجازية؛ لأنهم إنما حضروا قارئ القرآن، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

والسياق الآخر جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف ٢٠٤)، والإنصات في هذه الآية جاء على أمرين[3]:

١- السمع، وهو في هذه الآية جاء بالمعنى الحقيقي، والإنصات هنا جاء مؤكدًا للاستماع، مع زيادة في المعنى، وذلك مقابل قولهم ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾، فالإنصات هنا في قوله: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ﴾، فجاء الإنصات هنا تأكيدًا لـ (لا تَسْمَعُوا)، وردا عليه.

٢- يكون الاستماع مُستعملًا في معناهُ المجازيِّ، أي: «اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا»[4]، وهو الامتثالُ للعمل بما فيه، ويكون الإنصاتُ جامعًا لمعنى الإصغاء وترك اللَّغو.

وعليه فإن الإنصات يأتي بعد أمر السماع لغرض معنوي، وهو التأكيد ولفت الانتباه؛ لأنه لو قال (فاستمعوا له لعلكم ترحمون) هنا يكون الأمر بالسماع أمرًا يقوم على السماع الفسيولوجي بواسطة الأذن، ولكن السياق في هذه

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٧٠٢.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/ ٥٨.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩/ ٢٣٩.
(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٢/ ٣٩٨.

الآية جاء أمرًا بالاستماع أولًا، ثم أمر بالإنصات؛ لضرورة التأكيد على الاستماع والإنصات الجيد الذي يشترط السكوت معه، وهذا يدل على ما تميز به القرآن الكريم من دقة وإحكام في عرضه وسياقه لآياته.

٨- (وجس):

يقول ابن فارس: «الْوَاوُ وَالْجِيمُ وَالسِّينُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِحْسَاسٍ بِشَيْءٍ وَتَسَمُّعٍ لَهُ. تَوَجَّسَ الشَّيْءَ: أَحَسَّ بِهِ فَتَسَمَّعَ لَهُ»[١]، وأوجست الأذن وتوجست: سمعت حسا، والتوجس يراد به: التسمع إلى الصوت الخفي[٢].

وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع[٣] على وزن (أَفعَلَ)، ومن تلك المواضع ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (طه ٦٧-٦٨)، «إيجاس الخوف: هو إضمار شيء منه، وكذلك توجس الصوت: تسمع نبأة يسيرة»[٤]، والنبأة هي: الصوت الخفي[٥]. والمراد هنا: «أنه خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه، وقوله: (إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ)، فيه تقرير لغلبته وقهره»[٦].

ومن هنا يمكن القول: إن السمع قد ورد في القرآن الكريم بعدة معانٍ دلالية تتضمن لفظ السمع، وتدل عليه، وتلك الدلالات هي: (أَذِن - تلقَّى- جسَّ -حسَّ- سَمِعَ -صَغى- نصتَ- وَجسَ)، وتختلف هذه المفردات فيما بينها من حيث السياق الذي يحكم معناها، والدلالة التي تدل عليها، ويأتي بعضها أيضًا بالمعنى الحسي، وبعضها معنوي، كما أن هذه الدلالات قد تكون منفردة في

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ٨٧، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، (و ج س)، ٦/ ٢٥٣.
(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (و ج س)، ٦/ ٢٥٣.
(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٧٤٣.
(٤) الكشاف، للزمخشري، ٣/ ٧٤.
(٥) ينظر: الصحاح، الجوهري، ٣/ ٩٨٨.
(٦) الكشاف، للزمخشري، ٣/ ٧٤.

القرآن، وقد تكون مقترنة بمعانٍ وجوارحَ أخرى، كما جاء في (السمع)، واقترانه بالبصر والعقل والفؤاد، وكما أنَّ هناك ألفاظًا تتناسب مع السمع من حيث الدلالة، إلَّا أن هناك مفرداتٍ ترتبط بالسمع بعلاقة معينة، مثل علاقة التضاد، وهذه المفردات هي: (صخَّ - صَمَم - وَقَر)، وسأذكر بعض الآيات الدالة على تلك المفردات، وعلاقتها بالسمع بإيجاز:

١- (صخَّ):

يقول الصاحب بن عباد: الصاخَّة صيحة تصخُّ الأذن فتصمُّها، ويراد بها: الطعن، ورماه فصخَّه صخًّا: انتهى به الوجع، وقيل: قتله، وصخيخُ الصخرة صوتها[١].

وجاء هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة[٢] في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (عبس ٣٣)، أي: القيامة، والصّاخَّةُ: هي صيحةٌ شديدةٌ من صيحات الإنسان تَصُخُّ الأسماع، أي: تُصِمُّها، يُقال: صَخَّ يَصُخُّ، وقد اختلف أهلُ اللُّغَة في اشتقاقها اختلافًا لا جدوى له، فالصّاخَّةُ صارت في القرآن علماً بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء هذا العالم[٣]، ويقال: الصَّاخة: الداهية الشديدة، ويقال: كأن في أذنه صاخَّة: أي طنَّة[٤]. إذن فالصاخَّة هي صوت شديد يصيب الأذن فيصمها.

٢- (صمم):

كما ذكر القرآن الكريم وصفًا آخرَ يضاد السمع، وهو (الصمم)، والصمم في اللغة: هو انسداد الأذن وثقل السمع، وهو من صمَّ يصُّم، وصماً وصمَماً وأصمَّ

(١) ينظر: المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد إسماعيل بن العباس أبو القاسم، تح: محمد حسن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، (المكتبة الشاملة)، ١/ ٣٣٤.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٤٠٣.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠/ ١٣٤.

(٤) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (ص خ خ)، ٧/ ٢٩٠.

وأصمَّه الله: فهو أصَمُّ، وصِمام القارورة وصِمامَتُها وصِمَّتُها: سدادها[1]، وقال ابن فارس: «الصاد والميم أصل يدل على تضام الشيء وزوال الخرق والسم، والصماء الداهية، كأنه من الصمم أي هو أمر لا فرجة له فيه»[2]، و«الصمم في الأذن ذهاب سمعها، يقال: أذن صماء، وحجر أصم، وفتنة صماء»[3].

وقد جاء لفظ (الصمم) في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعًا[4]، وجاء الصمم في هذه المواضع جميعها مقترنًا إمَّا بالسمع أو البكم أو العمى، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ١٧١)، والصمم في هذه الآية ليس هو الصمم الحقيقيّ الحسّي الذي يصيب الأذن فيصمها، ويعيقها عن السمع كليًّا، إنما هو صمم معنوي مجازي، فقد جعلهم الله صُمًّا وهم يسمعون، وبُكمًا وهم ينطقون، وعُميًا وهم مبصرون، وإنما قال ذلك؛ لأنهم لم ينتفعوا بالسمع لعدم وعيهم له، ولم ينتفعوا ببصرهم لعدم اعتبارهم بما عاينوه من قدرة الله تعالى، ولم ينتفعوا بنطقهم فلم يُغنِ عنهم شيئًا؛ إذ لم يؤمنوا به إيمانًا ينفعهم، فكانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر ولا يعي شيئًا[5].

ويمكن أن نستنتج من ذلك أنواع الصمم، وهي:

١- **الصمم الحسي**، وهو على نوعين:

- صمم يصيب حاسة الأذن عند الإنسان منذ الصغر، أو يكون إثر عوامل أدت به إلى الصمم، فهو لا يستطيع سماع أي شيء.

(١) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص م م)، ١/ ١٤٥٩.
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (ص مَّ)، ٣/ ٢٧٧- ٢٧٨.
(٣) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تح: محمد عوض، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، (ص م)، ٤/ ١٨٦.
(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٤١٤.
(٥) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، ٤/ ١٨٦.

- ثقل يُصيب الأذن، فيضعِف حاسة السمع لديه، فهو يسمع الصوت، ولكنه سمع خفيف.

٢- **الصمم المعنوي**، وهو الصمم المذكور في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، والمعنى من ذلك أن لهم آذانًا يسمعون بها، ولكن لا يعقلون ولا ينتفعون بها، فهم يعرضون عن كل ما جاء به الله ورسوله، فشبَّههم الله تعالى بالصُّم الذين لا يسمعون شيئًا.

٣- (الوقر):

وقر في اللغة: يقول ابن فارس: «الواو والقاف والراء أصل يدل على ثقل في الشيء»[(١)]، ومنه الوَقرُ: وهو «ثقل في الأذن، أو هو ذهاب السمع كله، والثقل أخف من ذلك»[(٢)]، ومنه الوِقر: وهو الحِمل، يقال: نخلة موقرة وموقر، أي: ذات حَملٍ كبير، ومنه أيضًا الوَقَار: وهو الحِلم والرَّزانة[(٣)].

وقد ذُكر هذا اللفظ في القرآن الكريم في ستة مواضع[(٤)]، جميعها جاءت في مواضع ذم، ومقترنة بالآذان، وتضمن الوقر في تلك الآيات (الوقر المعنوي المجازي)، أي: أن آذانهم ليس بها ثقل، أو خلل في السمع، وإنما ذلك الوقر يكمُن في إعراضهم عن سماع القرآن الكريم، ومن تلك الآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (الإسراء ٤٥-٤٦)، أي: قلوبُنا في أكِنَّةٍ مِمَّا تدعُونا إليه وفي آذاننا وَقرٌ وَمن بَيننا وبينكَ -عند قراءة القرآن- حِجابٌ[(٥)]، و(حِجَابًا مَّسْتُورًا)، أي: حجاب مخفي لا يُرى؛ لذلك فهو

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (و ق ر)، ٦/ ١٣٢.
(٢) تاج العروس، الزبيدي، (و ق ر)، ١٤/ ٣٧٤.
(٣) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (و ق ر)، ٦/ ١٣٢.
(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٧٥٧.
(٥) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٦٧١.

مستور، فهؤلاء المشركون عند سماعهم القرآن الكريم ينفرون منه، وهذا النفور هو نفور كفر وإعراض، بمعنى أنهم ينفرون من ذكر الله، ويعرضون عن الانتفاع به، ويجعلون بينهم وبينه حجابًا حتى لا يسمعونه؛ لذلك وصفهم الله تعالى بالوقر في آذانهم؛ لعدم استماعهم وتدبرهم لهذا القرآن.

ونستخلص مما سبق أن هذه الدلالات (صخ- صمم-وقر) ترتبط مع السمع والأذن بعلاقات دلالية حسية ومعنوية، أما العلاقة الحسية فلأنها تصيب حاسة الأذن، فتسبب لها ثقلاً في السمع، أو صمماً كليًّا، في حين أن العلاقة الدلالية المعنوية تتمثل في الإعراض عن أي أمر يعرَض عليهم لا يتناسب مع معتقداتهم، حينها يكون مذهبهم في ذلك عدم الاتباع والانقياد، والإعراض عن القبول والطاعة، وذلك مثل إعراض المشركين عن قبول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إعراضهم عن سماع القرآن الكريم، ونفورهم منه، وهذا يعني أن آذانهم سليمة ليس فيها خلل، إنما الخلل في عقولهم التي تسيرهم، وفي عقائدهم ومللهم التي تحكمهم، لذلك شبههم الله -سبحانه وتعالى- بالصم البكم؛ لعدم انتفاعهم بالعلم وإعراضهم عنه.

المبحث الرابع:

اقتران السمع بغيره

يأتي السمع في بعض المواضع منفردا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة ٩٣)، وقد يأتي مقترنًا بحاسة أخرى أو بشيء آخر، فقد يكون مقترنًا بـ (البصر، وبالعقل، وبالفؤاد، وبالله تعالى، وقد يأتي السمع مقترنًا بالبصر والفؤاد معًا) في كثير من الآيات، منها:

- **اقتران السمع بالبصر**، قرن القرآن الكريم السمع بالبصر في كثير من المواضع، وقدم السمع فيها على البصر في أغلب المواضع، وقد استنبط العلماء حكماً عديدة لتقديمه أوضحتها الباحثة في موضع سابق[1]، وتجلت في هذه الحكم أهمية السمع وتكوينه ومركزيته من الحواس، ومن الآيات الدالة على اقتران السمع بالبصر قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٠)، أي: لو شاء الله لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، حتى صاروا صُماً عُمْيًا، وقد خص الله سبحانه هاتين الجارحتين للدلالة على عقوبة نفاقهم، فليحذروا عاجل عقوبة الله وآجله، فإن الله على كل شيء قدير[2].

كما أن اقتران السمع بالبصر له سمات دلالية ناتجة عن التقارب الوظيفي بينهما، فهما «من أعظم أدوات المعرفة وأنفعهما وأكثر ما يرتبط به الإنسان مع

(١) ذُكرت في مطلب مكانة السمع.

(٢) ينظر: التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢/ ٢١٤.

الخارج بهذين الحسين، فهما أشرف الحواس الظاهرة، ولعله لأجل ذلك أطلق عليه سبحانه وتعالى السميع البصير دون غيرهما من أسماء الحواس»[1].

- **اقتران السمع بالعقل**، إذ أنه من أكبر المميزات التي ميَّز الله فيها الإنسان وأكرمه عن غيره من المخلوقات الحية، وسر تكوينه هو السبب في تكليفه، بيد أن العقل لا يعمل بمفرده ما لم يتصل بنوافذ تزوده بالمعطيات الأولية، «فلابد للعقل من وسائل للاتصال بهذا المون آلة للنظر وآلة للسمع وغيرها من مكملات هذا العقل، بل أدوات لنقل تعبيره وتبليغ أفكاره، فكان ذلك بأن جعل الله الحواس الخمس منافذ للعقل الذي كرَّم الله تعالى به الإنسان وفضله به عن العالمين»[2].

كما أن صحة وسلامة العقل مرهونة بصحة وسلامة السمع، فالعلاقة بينهما علاقة تبادل وشراكة، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك ١٠)، جاء قولهم هنا من باب التحسر والندم، فذكروا ما يدل على انتفاء السَّمع والعقل عنهم في الدنيا، فانتفاء السَّمع كان بإعراضهم عن تلقِّي دعوة الرُّسل، مثل ما حكى اللهُ عن المشركين، وانتفاء العقل كان بترك التَّدبُّر في آيات الرُّسل، ودلائل صدقهم فيما يدعون إليه[3]، فلو سلمت أسماعهم هنا وأنصتوا للدعوة وقبلوها لصحة عقولهم ولما كانوا من أصحاب السعير، ولكن عدم الاستماع والأخذ بالدعوة وتقبلها سمعًا وعقلًا هو السبب في هذه العقوبة.

- **اقتران السمع بالله تعالى**، مثل قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران ١٨١)، وهذا السياق فيه تهديد ووعيد بأن الله سمع قول اليهود الذين قالوا: إن الله فقير إلينا ونحن أغنياء عنه، سنكتب ما قالوا من الإفك والافتراء على ربهم، وقتلهم أنبياءهم بغير حق[4]، وهذا العمل فيه جرأة

(١) مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مطبعة الإمام الصادق، الطبعة ٣، ٢٠٠٠م، ٦/ ١١٤.

(٢) آيات العقل والقلب والألفاظ ذات الصلة، علي حسين عبد الله سلمان، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ص٦٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ٢٧.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٧/ ٤٤٤.

عظيمة على الله تعالى، فجاءت هذه الآية؛ ليعلمهم تعالى أنه يعلم ما يقولون في الخفاء والعلن.

- **اقتران السمع بالعلم** مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٢٤)، أي أن الله (سميع) لما يقوله الحالفُ منكم بالله إذا حلف فقال: والله لا أبر ولا أتقي ولا أصلح بين الناس، و(عليم) بما تقصدون وتبتغون بحلفكم ذلك[1].
- **اقتران السمع بالبصر والفؤاد**، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ٧٨)، ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا، ثم رزقكم بعد ذلك الحواسَّ (السمع والبصر والأفئدة)، وهذه الحواس هي التي تعينكم تدريجيًّا على التعلم والاكتساب والإدراك.

ونخلص من ذلك بأن السمع لم يأتِ في القرآن الكريم مفردًا فحسب، بل اقترن بغيره من الحواس مثل اقترانه بالبصر وهو أكثرها ورودًا في القرآن الكريم؛ لأنهما من أعظم أدوات المعرفة وأنفعها، وأكثر ما يرتبط به الإنسان مع العالم الخارجي، كما اقترن بالعقل وكذلك بالفؤاد، أيضًا ورد السمع مجموعًا مع البصر والفؤاد معًا، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ٧٨)، أيضا نجد أن السمع لم يقتصر اقترانه على الحواس فقط، بل اقترن السمع بالله عز وجل وكذلك اقترانه بالعلم، وارتباطه بها كان له سمات دلالية تختلف من موضع لآخر باختلاف السياق الذي وردت فيه تلك الآيات.

(١) ينظر: نفسه، ٤/ ٤٢٧.

الخاتمة

بعد أن وصلت الباحثة إلى ختام هذا البحث الذي تناول ألفاظ السمع في القرآن الكريم، وذكر أهميته ومركزيته من الحواس، وتبيان معانيه الدلالية، توصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

١- منح القرآن الكريم السمعَ مكانةً عظيمةً؛ لما يكمن في تلك الحاسة من الأثر البالغ في الفهم والتفكر والإدراك، كما لها أهميتها البالغة في التعلم واكتساب المعرفة، وتعد مقومًا أساسيًّا من مقومات الحياة، وجسرًا من جسور الاتصال بين الإنسان ومحيطه، وانعدامها يؤثر سلبًا في حلقات التبادل المعرفي والفكري، وتكون سببًا في العزلة لدى فاقدها، وإن كان ذلك التأثير نسبيًّا.

٢- للسمع أهمية كبرى في التمييز بين الأصوات، بل إنه قادرٌ على الحكم على النص الأدبي، وتمييز اللفظ القبيح من اللفظ الحسن، كما أن حاسة السمع تعد وسيلةً للمفاضلة بين الألفاظ المشتركة في المعنى، والمتباينة في صوتها اللفظي.

٣- ورد ذكر السمع في القرآن الكريم ومشتقاته وتصريفاته في مئة وخمسة وثمانين موضعًا، وللسمع معان وتعبيرات مختلفة في القرآن الكريم، فتارة يعبر السمع عن الأذن نفسها، وتارة يعبر عن فعل السماع، وأحيانًا يطلق على الفهم.

٤- ورد السمع في القرآن الكريم بعدة سياقات تختلف فيما بينها تبعًا للخطاب القرآني الموجه، وتبعًا للسياق الذي يحمل المعنى ويدل عليه.

٥- ارتبط السمع بالبصر في ثمان وثلاثين آية، وقد قدم السمع على البصر في أغلبها؛ لتأكيد الدور الذي تقوم به حاسة السمع، وأهمية الوظائف المعرفية التي تقوم عليها؛ لذلك قدمه الخطاب القرآني على بقية الحواس الأخرى في أغلب المواضع.

٦- ورد لفظ السمع في القرآن الكريم بعدة دلالات ومعانٍ تدل عليه، وترتبط به بعلاقة معينة، إمَّا أن تكون هذه العلاقة توضيحًا لمعنى السمع وزيادة عليه، وهي: (أَذِن- تلقَّى- جسَّ- حسَّ- سَمِعَ- صَغى- نصتَ- وَجسَ)، أو أن تكون ألفاظًا ترتبط بالسمع من حيث إنها تحدث في الأذن، إلا أنها تضاده وتخالفه في المعنى، بحيث تبطل السماع جزئيًّا أو كليًّا، وهي: (صخَّ- صمم- وقر)، وبلغ إجمالُ هذه الدلالات وصيغها ومواضعها في القرآن الكريم مئتين وثلاثة وثمانين موضعًا.

٧- وضَّح الخطاب القرآني أن سبب ضلال كثير من الناس أنهم لم يُفَعِّلوا حواسهم ولم يُعْمِلوها، فبعدم استماعهم للحق وإعراضهم عنه، ونفورهم من سماع ما يتلى عليهم من القرآن؛ شبههم الله بالصم البكم العمي الذين لا يعقلون، ولا ينتفعون.

وبهذا تصل الباحثة إلى ختام البحث، والذي يحتمل الصواب والخطأ، فإن حالفه الصواب فبفضل من الله ورضوانه، وإن جانبه فذلك سهو مني، وحسبي في ذلك أني حاولت.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم

المراجع:

١- إبراهيم. صاحب خليل، **الصورة السمعية في الشعر الجاهلي**، بغداد: دار السلام، ط١، ٢٠٠٥م.

٢- ابن الأثير. مجد الدين أبو السعادات بن محمد الشيباني، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد- محمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣- أحمد. السيد علي سيد، وفائقة محمد بدر، **الإدراك الحسي البصري والسمعي**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤- الأحمد. عبد النبي بن عبد الرسول، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، تحقيق: محمود الحيدر آبادي، بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٩٧٥م.

٥- الأزهري. أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.

٦- الأصفهاني. الحسين بن محمد الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد خليل عيتاني، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٩٩٨م.

٧- الألوسي. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

٨- ابن الأنباري. أبو بكر محمد بن القاسم، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، قرأه وعلق عليه: يحيى مراد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.

٩- الأندلسي. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٠- أنيس. إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م.

١١- البطليوسي. ابن السيد، **الفرق بين الحروف الخمسة**، تحقيق: علي زوين، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٦م.

١٢- البلخي. مقاتل بن سليمان، **الأشباه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، القاهرة: المكتبة العربية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٣- البيضاوي، محمد بن مصطلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، **حاشية محي الدين الشيخ زاده**، على تفسير القاضي، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

١٤- الجرجاني. علي محمد علي الزين الشريف، **كتاب التعريفات**، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٥- ابن جني. أبو الفتح عثمان الموصلي، **الخصائص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

١٦- الجوهري. أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٧- الحنفي. إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، **تفسير روح البيان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م.

١٨- ابن خلدون. عبد الرحمن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: لجنة البيان العربي، ط٣، ١٩٦٥م.

١٩- الدينوري. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠- الرازي. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي:

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٩٩٩م.

مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢١- الرازي. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٢- الزَّبيدي. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، الكويت: دار الهداية، ١٩٦٥م.

٢٣- الزجاج. أبو إسحاق إبراهيم، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل شلبي، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م.

٢٤- الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله:

أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٥- الزيات. أحمد حسن، **دفاع عن البلاغة**، القاهرة، مكتبة الرسالة، ط٣، ١٩٤٥م.

٢٦- السامرائي. فاضل، **التعبير القرآني**، بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨٨م.

٢٧- السبحاني. جعفر، **مفاهيم القرآن**، مطبعة الإمام الصادق، الطبعة ٣، ٢٠٠٠م.

٢٨- السمين الحلبي. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٩- ابن سيده. أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي:

المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣٠- الشيرازي. ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م.

٣١- أبو طالب. عبد الهادي، **معجم تصحيح لغة الإعلام العربي**، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. (المكتبة الشاملة).

٣٢- الطبرسي. أبو علي الفضل بن حسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تصحيح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٧٩هـ.

٣٣- الطبري. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٤- ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٣٥- ابن عباد. إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني، **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. (المكتبة الشاملة).

٣٦- عبد الباقي. محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الحديث، ١٣٦٤هـ.

٣٧- عبد الحميد. أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٨- العسكري. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **الفروق اللغوية**، تحقيق: حسام الدين القديس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٩- العمادي. أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٠- عمر. أحمد مختار، **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، بمساعدة فريق عمل، القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤١- ابن فارس. أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٢- الفراء. أبو زكريا بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٧٢م.

٤٣- الفراهيدي. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٤٤- فرحات. أحمد حسن، **معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)**، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤٥- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب:

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: دار التحرير للطباعة والنشر.

القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٤٦- القنَّوجي. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، مراجعة: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، بيروت: المَكتبة العصريَّة للطباعة والنّشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٧- لاشين. عبد الفاتح، **صفاء الكلمة**، الرياض: دار المريخ للنشر، مصر: مطبعة النهضة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٨- المصري. عبد الفتاح، **الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة**، دمشق: مجلة التراث العربي، العددان (١٥-١٦) السنة الرابعة، ١٩٨٤م.

٤٩- مصطفى. إبراهيم، و(آخرون)، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٥٠- ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥١- موسى. هارون، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٢- نهر. هادي، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.

٥٣- هلال. ماهر مهدي، **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، بغداد: دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨٠م.

٥٤- الهلالي. صادق، وحسين اللبيدي، **الإعجاز العلمي في السمع والبصر في القرآن الكريم**، جدة: هيئة الإعجاز العلمي، ط٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٥- الواحدي. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، **التفسير البسيط**، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٣٠هـ.

الرسائل العلمية:

١- الحلفي. شكيب غازي بصري، **ألفاظ السمع في القرآن الكريم- دراسة لغوية**، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م.

٢- الخطيب. عبد الله بن عبد الرحمن، **السمع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية**، المجلة العالمية لبحوث القرآن، (بحث محكم)، المجلد ٢، العدد: ٢، ٢٠١٢م.

٣- سكران. حفيظة، **أفعال السمع في القرآن الكريم- دراسة إحصائية دلالية**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران بالجزائر، جسور المعرفة، (بحث محكم)، المجلد ٥، العدد: ١، ٢٠١٩م.

٤- سلمان. علي حسين عبد الله، آيات العقل والألفاظ ذات الصلة، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب.

المواقع الإلكترونية:

يوسف. محمد عبد الكريم، مهارات الإصغاء، **الصدى.نت** (elsada.net)، تاريخ الدخول: ١٤/ ١٢/ ٢٠٢١م، ١٠:٣٠مساءً.